الإصدار الرابع عشر

عاشوراء زاد

للمحاضر الحسيني

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد معهد سيد الشهداء

يا عبد الله

زاد دعاء عاشوراء

للمحاضر الحسيني

الـــكـــتـــاب: زاد عاشوراء للمحاضر الحسيني
إعـــــــداد: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسينيّ
نـــشـــــر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الإصـــــدار: الرابع عشر ٢٠١٥ م - ١٤٣٦هـ

يا عبد الله

زاد عاشوراء

للمحاضر الحسيني

المركز الإسلاميّ للتبليغ

www.almenbar.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين لا سيّما بقيّة الله في الأرضين أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك.

السادة الأفاضل محاضري وخطباء المنبر الحسينيّ دمتم موفّقين.

ما أحوجنا ونحن نستجلي مواقف كربلاء ونسبر أعماق أسرارها، ونضيء شعلاً من قبس أنوارها، نستهدي فيها نور الفتح والفوز، لتكون كربلاء مدرسة نابضة حيّة مستمرّة تلهم الأجيال في كلّ العصور درس الإيمان والثبات المنتصر على ظلامة العدوّ وجوره، لأنّ حركة الإمام عليه السلام حركة تكامل وصلاح، وتحمل ديموميّة حيّة مرتبطة بالتكامل والسعادة الإلهيّة.

ولا غرابة إذا قال في حقّه من لم يَفُه إلّا حقّاً ولم ينطق إلّا وحياً **«حسينٌ منّي وأنا من حسين»**، لتخلد في أفق الوجود حقيقة مشرقة أنّ الإسلام محمّديّ الوجود حسينيّ البقاء.

لقد أروى سيّد الشهداء شجرة الإسلام العطشى بدمائه

الزكيّة، ووهبها حشاشة نفسه، ومنحها مُهجة قلبه، فأينعت وأثمرت لتكون أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء.

ولأنّ الإمام عليه السلام هو الجاذب للناس بدافع الفطرة وشكر المنعم، كان هذا الكتاب الماثل بين يديك أخي المبلّغ عوناً لك في الليالي العاشورائية، تعيد فارّاً هنا وترشد هاربّاً هناك، وتهدي ضالّاً هنا وتزيل شاكّاً هناك، وتزيد إيمان رجل هنا وتصبّر امرأة هناك، وتشدّ إلى النور شابّاً وترفع للدرجات فتاة... لنحقّق بعضاً مِنْ... **«خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس»** أو نبذة من **«طلب الإصلاح في أمّة رسول الله»**.

ونطرح هنا بعض السياسات لهذا الخطاب العاشورائيّ التعبويّ المطلوب:

١- التأكيد على أهميّة الجانب المعنويّ الذي يحقّقه الارتباط بالله تعالى والتوكّل عليه، وأهميّة هذا الجانب في استنزال المدد والنّصر الإلهيّ ولو قلَّ المؤمنون وكثر أعداؤهم.

٢- ربط الناس بالتّكليف الإلهيّ على قاعدة كونه الموجِّه لموقف الفرد والأمّة.

٣- توجيه الناس نحو العمل للآخرة، لضمان استمرار الحياة بسعادة باقية. وإبراز دور الشهادة في تحقيق ذلك.

٤- غرس روح التضحية في أبناء الأمّة لكون معركة الحقّ ضدّ الباطل

لا بدّ لها من تضحيات، وتضحيات الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء الدليل الواضح على ذلك.

٥- الإرشاد إلى دور الولاية في توجيه الأمّة وترشيدها. وأنّ وحدة الوليّ والقائد هي الضمان لوحدة الأمّة وعزّها.

٦- تأكيد ضرورة وحدة المسلمين صفّاً واحداً أمام أعدائهم.

٧- تحديد طواغيت العصر ويزيديّيه المتمثّلين اليوم في الدرجة الأولى بأمريكا وإسرائيل والتطرّق إلى الممارسات الإرهابيّة التي يمارسها هؤلاء الطواغيت ضدّ مسلمي ومستضعفي العالم.

٨- بيان تكليف الأمّة في نصرة المظلومين.

٩- التشديد على ضرورة الثبات في معركة الحقّ ضدّ الباطل ودورها في تحقيق النصر الإلهيّ.

١٠- إبراز التشابه بين ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومعركتنا ضدّ الباطل، سواء على مستوى أهداف وممارسات الأعداء، أو على مستوى مشاركة الشرائح المتنوّعة من المجتمع لنصرة الحقّ (شبّان، شيوخ، نساء، أطفال، طبقات اجتماعيّة متفاوتة).

١١- الإلفات إلى ضرورة التكافل الاجتماعيّ في الأمّة بما يؤمّن القوّة الداخليّة للمجتمع في معركته ضدّ الباطل.

١٢- تقوية علاقة الناس بصاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف وتبيان مسؤوليّتهم في التمهيد لظهوره المبارك، واستعدادهم لاستمرار التضحية بين يديه.

والحمد لله ربّ العالمين

معهد سيّد الشهداء عليه السلام
للمنبر الحسينيّ

توجيهات الإمام الخميني قدس سره
للمحاضرين والخطباء الحسينيّين

١- إنّ على الخطباء أن يقرأوا المراثي حتّى آخر الخطبة، ولا يختصروها بل ليتحدّثوا كثيراً عن مصائب أهل البيت عليهم السلام.

٢- ليهتمّ خطباء المنابر ويسعوا إلى دفع الناس نحو القضايا الإسلاميّة وإعطائهم التوجيهات اللازمة في الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة.

٣- يجب التذكير بالمصائب والمظالم التي يرتكبها الظالمون في كلّ عصر ومصر.

توجيهات الإمام الخامنئي دام ظله
للمحاضرين والخطباء الحسينيّين

أوّل شيء يجب أن تهتمّوا به هو رسالة الثورة في المصيبة وفي المدح وفي الأخلاقيّات والوعظ.

كيف يجب أن تقام مراسم العزاء؟

إنّه سؤال موجَّه إلى جميع من يشعر بالمسؤوليّة في هذه القضيّة، وباعتقادي أنّ هذه المجالس يجب أن تتميّز بثلاثة أمور:

١- تكريس محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلوب، لأنّ الارتباط العاطفيّ ارتباط قيِّم ووثيق.

٢- إعطاء صورة واضحة عن أصل قضيّة عاشوراء، وتبيانها للناس من الناحية الثقافيّة والعقائديّة والنفسيّة والاجتماعيّة.

٣- تكريس المعرفة الدينيّة والإيمان الدينيّ. والاعتماد على آية شريفة أو حديث شريف صحيح السند أو رواية تاريخيّة ذات عبرة.

على أيّ منبر صعدتم وأيّ حديث تحدّثتم، بيّنوا للناس يزيد هذا العصر وشمر هذا العصر ومستعمري هذا العصر.

كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله

في لقائه حشد من مختلف شرائح الشعب / طهران

في ذكرى ولادة الإمام الحسين عليه السلام

في ٢٠١٣/٦/١٢

الذكرى العظيمة

لقد قدّم هذا العظيم [الإمام الحسين عليه السلام] للتاريخ وللبشريّة حركةً لا مثيل لها ولا نظير، حركةً يُحتذى بها ولن تُنسى أبداً. إنّ التضحية لهدف إلهيّ بذلك الحجم وبذلك المقياس العظيم، التضحية بالروح وبأرواح الأعزّاء، بسبي حريم (نساء) أهل البيت عليهم السلام، بتلك الطريقة وبتلك الفظاعة، وتَحَمُّلَ تلك الواقعة القاسية، من أجل بقاء الإسلام ومن أجل أن تبقى مقارعة الظلم كأصل في تاريخ الإسلام والبشريّة، لهو أمرٌ منقطع النّظير.

كربلاء فوق المقارنة

لقد استشهد الكثيرون في سبيل الله، في رَكْبِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، في ركب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ركب أنبياء الله. لكن أيّاً منهم لا يُقارن بواقعة كربلاء. هناك فرق بين من يدخل ميدان الحرب وسط التهليل واستحسان الموالين، على أمل الفتح والنصر، ثمّ يستشهد ويُقتل، وبالطبع له الأجر الكبير، وبين تلك الجماعة في هذا العالم المظلم والظالم، التي دخلت الساح في حين أنّ

زعماء ووجهاء عالم الإسلام الكبار آنذاك، قد امتنعوا عن مساندتهم، بل ولامتهم على تلك الخطوة. لم يكن هناك أمل في دعم أيّ شخص من أيّ جهة كان، ويأتي شخص كعبد الله بن عبّاس، وآخر كعبد الله بن جعفر لردعهم. كما امتنع الأصحاب والمخلصون والمحبّون في الكوفة عن مساندتهم. (كانوا) وحدة في وحدة، لا أحد معهم غير قلّة من الأصحاب المخلصين والعائلة، الزوجة، الأخت، أبناء الأخت وأبناء الأخ، الشُبّان والرضيع ذو الستّة أشهر. إنّها واقعة عجيبة، ومشهد عظيم في التاريخ قد تراءى أمام أنظار البشريّة. كان الإمام الحسين عليه السلام، يُعدُّ نفسه لهكذا يوم.

بالطبع، فإنّ حياة الحسين بن عليّ عليه السلام، وعلى مدى خمسين عاماً ونيّف من عمره الشريف، كلّها دروس، حياته في مرحلة الطفولة درس، وفي مرحلة الشّباب درس، سلوكه في مرحلة إمامة الإمام الحسن عليه السلام درس، كذا كان سلوكه بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، ولم تكن أعمال الإمام الحسين عليه السلام، منحصرة في اليوم الأخير فحسب، لكنّ واقعة كربلاء بقدر ما هي عظيمة ومُشعّة، تبقى كالشمس التي يطغى نورها على كلّ الأنوار. وإلّا (وكيف لا) فخطاب الإمام الحسين عليه السلام، للعلماء والأجلّاء والصحابة والتابعين في «منى» – والذي ذُكر في كتب الأحاديث– لهو سندٌ تاريخيٌّ، وإنّ رسالة ذلك العظيم للعلماء

والأجلّاء ولكبار وأركان الدين في عصره: «**ثمّ أيّتها العصابة، عصابةٌ بالعلم مشهورة**»[1] – والتي وردت في كتب الأحاديث المُعتبرة – لسندٌ تاريخيّ مهمّ. إنّ سلوك ذلك العظيم كلّه خطوة بخطوة هو دروس، تعامله مع «معاوية»، رسالته لمعاوية، ووجوده إلى جانب الأب أثناء خلافة أمير المؤمنين عليه السلام القصيرة، حياته. لكن تبقى واقعة «عاشوراء» شيئاً آخر.

الاستعداد للدفاع عن الحقّ

اليوم هو ذكرى ولادة هذا العظيم، وعلينا في هذا اليوم أن نتعلّم الدرس من الحسين بن عليّ عليه السلام، ودرس الحسين بن عليّ عليه السلام للأمّة الإسلاميّ، هو أن نكون على أهبّة الاستعداد دوماً للدفاع عن الحقّ، عن العدل ولإحقاق العدل ومواجهة الظلم، وأن نُقدّم كلَّ ما لدينا في هذه الساح. ليس باستطاعتنا أنا وأنتم فعل ذلك بنفس المستوى والمقياس، لكن يمكننا فعل ذلك في المستويات المتناسبة مع حالتنا، وخُلقيّاتنا وعاداتنا. علينا تَعَلُّم ذلك.

اليوم، ولحسن الحظّ فقد تعلّم الشّعب الإيرانيّ هذا الدرس من الحسين بن عليّ عليه السلام، ومنذ نحو ثلاثين عاماً ونيّف والشّعب الإيرانيّ قاطبةً، يسير في هذا الطريق. صحيح أنّ هناك بعض

(١) تحف العقول، ص ٢٣٧.

الحالات النادرة والشاذّة في هذه الناحية أو تلك، إلّا أنّ حركة الأمّة الإيرانيّة قاطبةً، هي في اتجاه حركة الحسين بن عليّ عليه السلام. كان مصير ذلك العظيم الشهادة، لكن لم يكن درسه لنا درس الشهادة فحسب. فهذه الحركة، مليئة بالبركات، يمكن في بعض الأحيان أن تنتهي حادثة كحادثة الحسين بن عليّ عليه السلام بالشهادة، لكنّ هذه الحالة، وهذه الروحيّة لإقامة دين الله، وكلّ ما ترتّب عليها من بركات لأمر مفيد. لقد نزل الشّعب الإيرانيّ بهذه الروحيّة إلى الساح، ودمّر بناء الظلم الوطنيّ والدولي في إيران. وأنشأ مكانهما بناءً إسلاميّاً. ليس الأمر دائماً، أنّه من المحتّم على كلّ من سار على طريق الحسين بن عليّ عليه السلام، أن يوفّق بالمعنى الظاهريّ والدنيويّ للتوفيق، لا أبداً، لقد وضعوا هذا الطريق، وهذا الدرس أمام أنظار البشريّة وقالوا: إذا أردت الدنيا والعزّة أيضاً، فعليك بالسير في هذا الطريق.

الليلة الأولى

المحاضرة الأولى:

التذكير بأيّام اللّه

الهدف:

الإضاءة على بعض المفاهيم القرآنيّة، وأدوار الأنبياء والأولياء، وهي مسألة تحرير واستقلال الشعوب، وضرورة التذكير بها وفوائد التذكير لنصل إلى أنّ عاشوراء وإحياءَها تذكير بيوم من أيّام الله.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[1].

(١) سورة إبراهيم، الآية ٥.

مقدّمة: الحريّة قضيّة رساليّة:

لقد تكرّر في القرآن الكريم التصريح بأنّ هدف بعثة الأنبياء إخراج من أرسلوا إليهم من الظلمات إلى النور، وهذا الإخراج الذي يراد منه انعتاق النّفوس البشريّة من التيه في أودية الضلال إلى التوحيد والاستضاءة بنور الهداية الإلهيّة. ومحوره أنّ الهداية والضلال في أيدي النّاس؛ ومن جملة مهامّ الأنبياء إخراج الناس من ظلمات العبوديّة، والظلم وتحريرهم من سطوات الطواغيت، فحريّة النّاس من أهمّ بل وأولى مهامّ القادة الربّانيّين، فالظلام منه الكفر والشرك وكذلك منه الذلّ والقهر والفساد والاستعباد والظلم، والنور كما أنّه الحقّ والتوحيد والإيمان والتقوى كذلك هو الحرّيّة والاستقلال والعزّة والشرف وعن ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1] وفي معرض تفسيره لهذه الآية يقول العلّامة الطباطبائيّ في الميزان: **«في الآية أعلاه دليل على أهمّيّة الحرّيّة والاستقلال في مصير الأمم»**[2].

ثمّ يعود مكمّلاً ما بدأه قائلاً: **«ولهذا السبب كان العمل الأوّل للقادة الإلهيّين هو تحرير الشعوب من التبعيّة الفكريّة**

(١) سورة إبراهيم، الآية ٥.

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائيّ، ج٧، ص٤٦٣.

والثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة...»[1] وبهذا يتحصّل أن تحرّر الشعوب واستقلالها وبناء عزّتها قضيّة رساليّة يتولّاها القادة الإلهيّون كما يتولّون مسألة الهداية الدينيّة بالمعنى الأخصّ.

محاور الموضوع

أيّام التحرّر أيّام الله

ويكمل المولى تعالى في نفس الآية أي الخامسة من سورة إبراهيم بيان وظيفة من وظائف الأنبياء إضافة إلى العمل على تحرير شعوبهم واستقلالها، فيشير إلى أنّها أيّام الله فينسبها إلى نفسه ثمّ يأمر نبيّه موسى بأن يذكّر أمّته بهذه الأيّام بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾[2].

صحيح أنّ كلّ الأيّام، وكلّ الأمكنة، وكلّ الخلق، هي أيّام لله وأمكنة لله، وعباد لله، ولكن ثمّة خصوصيّة للمكان ليصبح بيت الله، وللمخلوق ليصبح وليّ الله، وكذلك كتاب الله، وكذلك شهر الله ويوم الله؛ فكلّها لله، لكن لميزة خاصّة بها استحقّت هذا الانتساب، ولنعد إلى الأيّام التي نسبها الله لنفسه لنجد في الآية التي تليها ما يلي:

(١) نفس المصدر.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٥.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

فالآية تشير إلى كيفيّة امتثال النبيّ موسى للأمر الإلهيّ بالتذكير بأيّام الله؛ فذكر مسألة يوم مصيريّ في حياة بني إسرائيل، وهو يوم نجاة بني إسرائيل من سطوة وجور فرعون وهلاكه وجنده بالغرق.

فيوم هلاك الطاغية وجنده ويوم تحرّر أمّة موسى عليه السلام هو يوم الله، ولا بدّ من التذكير به وقد أورده تعالى في الآية السابقة حيث ذكر موسى بهذا اليوم بالخصوص مع ما في حياة بني إسرائيل من الأيّام المليئة بالآيات الإلهيّة، والأمر بالتذكير بها دليل على ما لقضيّة التحرّر والاستقلال من أهمّيّة محوريّة في حياة الأمم ومهامّ القادة الرساليّين.

لماذا التذكير بأيّام الله:

إنّ تذكّر الأيّام العظيمة والحسّاسة، والمصيريّة، والتي تجلّت فيها العناية والألطاف الإلهيّة مدعاة للاستفادة من دروسها وأخذ العبر منها ومعرفة السنن الإلهيّة الجارية فيها سياسيّة أو

(١) سورة إبراهيم، الآية ٦.

اجتماعيّة أو تاريخيّة أو غير ذلك، إضافة إلى أنّ لها دوراً مؤثّراً في كلّ ما له علاقة ببناء النّفوس والجماعات وترسيخ القيم وكذلك في بناء الوعي العامّ، ولها كذلك مؤثّريّة في يقظة الشعوب، وبناء عزّتها وثقتها بالقدرة على الفعل، وصنع النّفوس المتأهّبة لصيانة الشعوب والأمم وحرّيّاتها وكياناتها والذود عن حماها، وتأصيل بعض الصفات في النّفوس كالصبر والتحمّل والشجاعة والإباء، والجدّ والاجتهاد والتعاون وغير ذلك؛ وفي التذكير بأيّام الله تنويه بأبطال الحدث وتقديمهم قدوات.

ولكن يبقى أن نشير إلى أنّه تعالى عقّب على الآية التي ذكرت كيف أدّى موسى عليه السلام التكليف بالتذكير بأيّام الله؛ بخطاب وجّهه إلى بني إسرائيل قائلاً:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] وفيه إشارة إلى أنّ التذكير من فوائده عرفان النعمة وحقّها وحقّ المنعم وأداء الحقوق في كلّ ذلك وفي ضوئه.

عاقبة عدم الشكر

في الآية السابقة جعل تعالى، بإشارة ليست بخفيّة، حسن التعامل مع أيّام الله والتذكير بها الزيادة فإن كانت النعمة

(١) سورة إبراهيم، الآية ٧.

هي التحرّر والاستقلال فإنّ الزيادة هي زيادة في نعمة الحرّيّة والاستقلال بزيادة الأسباب المثبتة لها، والزيادة في مراتب التحرّر والاستقلال بما يعني زيادة الاقتدار والقوّة، والعزّة والمنعة، والدولة والسلطان؛ وليكون هذا الشكر شكراً عمليّاً - وهو المطلوب هنا- يفترض أن يكون كلّ ذلك بإقامة العدل ونصرة الحقّ ونشر الهدى والصلاح كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1].

ولكن قوم موسى عليه السلام كما نجحوا أحياناً فكان نصر طالوت على جالوت، وكانت دولة سليمان وداود عليهما السلام كذلك أخفقوا مرّات، ولأنّ الله عالم بما سيكون منهم قال لهم متوعّداً على عدم الشكر العمليّ على القوّة والسلطات والاستقلال بقوله تعالى على سبيل الإخبار: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2].

عاشوراء يوم الله؟

بناء على القول إنّ أيّام الله هي الأيّام العظيمة والمصيريّة في حياة الأمم والحسّاسة والتي انتصرت فيها الحرية، والعزة، والقيم، فإنّا نستطيع القول إنّ عاشوراء ذلك اليوم الذي تجلّت

(١) سورة الحجّ، الآية ٤١.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٦٧.

فيه البطولة والفداء، والإيثار، والتوحيد وإباء الضيم والعزّة، وأشرقت من صعيدها شمس آل بيت الطهر نوراً عصيّاً على أن تطفئه ظلمات، سيوف، وجيوش، ونفوس، وأفواه على مدى الزمن.

ولئن كان للبعض أن يقول: إنّ يوم الله في الظاهر هو اليوم الظاهر فيه اللون الإيجابيّ، وفي كربلاء فإنّ ظلام المأساة، قد يجعلنا نتردّد في كون يوم عاشوراء يوماً لله.

إلّا أنّنا نقول: يكفي ما جاء على لسان السيّدة زينب عليها السلام ردّاً على ابن زياد عندما حاول التشفّي بمصاب أهل البيت عليهم السلام إذ قالت: **«ما رأيت إلّا جميلاً»**[1].

فضلاً عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«أيّام الله نعماؤه وبلاؤه ببلائه سبحانه»**[2].

خاتمة: يوم وليّ الله يوم الله:

لقد شكّل يوم العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين للهجرة يوماً فارقاً في حياة الأمّة الإسلاميّة بل في حياة الإنسانيّة، وقد استخدم أهل البيت عليهم السلام في الإشارة إلى ذلك اليوم مرّات كثيرة بدل عبارة يوم عاشوراء، تسمية يوم الحسين عليه السلام. فيوم عاشوراء هو يوم تجلّي الحسين عليه السلام وظهور شيء من كمالاته

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ص٢٩.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٢ ص٥٢٦.

الإنسانيّة والروحانيّة التي تبقى مدهشة للعقول على طول الدّهر.

ولقد أثبت إحياء ذلك اليوم كلّ عام الذي هو نحو من التذكير به أثره في بناء النّفوس وإعلاء القيم وبثّ المفاهيم.

ولذا فإنّ إحياء عاشوراء هو تذكير بيوم الحسين عليه السلام ويوم وليّ الله يوم لله تعالى، فالتذكير به تذكير بأيّام الله.

كما علينا أن لا ننسى أيّام الله في هذا البلد لا سيّما يوم التحرير ويوم النّصر الإلهيّ وغير ذلك.

يا عبد الله

المحاضرة الثانية:

حذار الغفلة

الهدف:

بيان الغفلة وخطورتها وحقيقتها وكيفيّة علاجها باليقظة والانتباه.

تصدير الموضوع

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

مقدّمة: أضرّ الأعداء

من أشدّ الأمراض وأفتكها التي يبتلى بها الإنسان الغفلة، وقد ورد أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قال: **«الغفلة أضرّ الأعداء»**[1].

ولذا فإنّ علماء الأخلاق، بعد دراستهم لأحوال الإنسان الفرد وكذلك للمسيرة الإنسانيّة، رأوا خطورة هذا المرض، وقد استفاد بعضهم من القرآن الكريم فوجد أنّ فيه ما يزيد على العشرين آية تدلّ على أنّ لشفاء الإنسان ولفساده ولرذائل الأخلاق ومذامّها أصلاً هو الغفلة؛ وجاء هذا الاستنتاج ولذا ورد عن أمير المؤمنين وسيّد المتّقين الإمام عليّ عليه السلام قوله: **«الغفلة ضلال النّفوس، وعنوان النحوس»**[2].

محاور الموضوع

حقيقة الغفلة:

للتعرّف على الغفلة لا بدّ من الإشارة إلى أنّ معناها البسيط هو عدم الالتفات إلى شيء مع وجوده تحت سلطان القدرة ومع وجود المقتضي للالتفات.

(١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٢.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٢.

والحقيقة أيضاً أنّ أهمّ ما يمنع الالتفات إلى الأمور والأشياء هو توجّه الحواس أو القوى أو النّفوس إلى أمور أخرى لأسباب نتعرّض إليها لاحقاً.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

ويبدو واضحاً من هذه الآية أوّلاً أنّ الغفلة تُنزل الإنسان من مقام الإنسانيّة المكرّمة إلى البهيميّة وتحطّ من قدره، إضافة إلى كونها سبباً للشقاء الأبديّ، والسبب في ذلك أنّهم في زمرة الغافلين، والذي حطّهم ونزل بهم إلى هذا الدرك هو أنّهم زُوّدوا بقوى هي القلوب والأعين والآذان، فإمّا أنّهم أهملوها ولم يستخدموها أصلاً فكأنّها لم تكن لديهم، كما أنّه ليس للبهائم فقه ولا بصائر، أو أنّهم أساؤوا استخدامها ولم ينتفعوا بوجودها لديهم، فهؤلاء بسبب انحراف قوى الإدراك عندهم عن مسيرها الصحيح فقد فقدت دورها النافع والإيجابيّ وهو انتباههم والتفاتهم.

ولذا تمّ إغلاقها وطمسها حيث يقول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٢) سورة النحل، الآية ١٠٨.

عن ماذا تكون الغفلة؟

ذكر القرآن الكريم والروايات من الأمور التي تكون الغفلة عنها، منها لا على سبيل الحصر:

١ – الغفلة عن الله:

وهي التي تحدّث عنها الله تعالى فقال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: **«أيّها النّاس، غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، ما لي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين؟!»**[٢].

٢ – الغفلة عن الموت وما بعده:

قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسي الرحلة ولم يستعدّ»**[٥].

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٩.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٥.
(٣) سورة التكاثر، الآيتان ١ – ٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان ١ – ٢.
(٥) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٢.

٣ – الغفلة عن آيات الله:

ومنها القرآن والمعاجز وحتّى أولياء الله: في آية مذكورة آنفاً: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[١].

آثار ونتائج الغفلة:

إنّ للغفلة آثاراً مدمّرة إضافة إلى ما ذكرنا من إيجابها للشقاء الأبديّ فمنها:

١ – **إضاعة العمر:** وعدم النجاة: بمعنى عدم استثمار العمر والاستفادة منه، عن الإمام عليّ عليه السلام: **«كفى بالرجل غفلة أن يضيع عمره فيما لا ينجيه»**[٢].

٢ – **الضلال:** وعنه عليه السلام: **«كفى بالغفلة ضلالاً»**[٣].

٣ – فساد الأعمال:

وعنه عليه السلام: **«من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر»**[٤].

٤ – اختلاط الأمور وعدم ترتيب الأولويّات:

عن الإمام عليّ عليه السلام: **«كفى بالمرء غفلة أن يصرف همّته فيما لا يعنيه»**[٥].

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٧.
(٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٧.
(٤) نهج البلاغة، الموعظة رقم ٢٠٨.
(٥) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٧.

٥ – موت القلب:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**من غلبت عليه الغفلة مات قلبه**»[١].

٦ – عمى البصيرة:

عنه عليه السلام: «**دوام الغفلة يعمي البصيرة**»[٢].

٧ – العمى الأخرويّ والمعيشة الضنك:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[٣].

اليقظة علاج الغفلة:

يقول أرباب السير والسلوك إنّ أوّل منازله هو اليقظة، فما لم يستيقظ الإنسان من غفلته وينتبه من نومته ويصح من سكرته فلن يضع قدماً في طريق السلوك والسير نحو الله تعالى والمقامات السامية، إذ إنّ الإنسان إذا ما كان يعيش حالة من الغفلة فإنّه ينسى أصله وينسى حقيقته ولا يدرك سبب هذه الحياة الدنيويّة والحكمة من وجوده فيها ولا الغاية المرجوّة منها، فلا يفكّر فيها ولا يستعدّ للرحلة عنها إلى العالم الآخر، فما دام الإنسان واقعاً في شراك الغفلة ولم يقم ليسعى في طرق نجاته والوصول إلى

(١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٧.
(٣) سورة طه، الآيات ١٢٤ – ١٢٦.

سعادته وكماله فلن يجد السير نحو إلهه تعالى.

وممّا جاء في الحثّ على اليقظة عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ألا مستيقظ من غفلته قبل نفاد مدّته»**[1].

وكذلك: **«انتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب»**[2].

ومن أجمل ما قاله عليه السلام: **«سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقةً من سكر الخمور»**[3].

وعن قيمة اليقظة وأهمّيّتها وأثرها:

قال عليه السلام: **«ضادّوا الغفلة باليقظة»**[4].

وعنه عليه السلام: **«اليقظة نور»**[5].

اليقظة من الغفلة:

١ – ذكر الله تعالى: وهو الحالة الأولى من موجبات اليقظة حيث قال الإمام عليّ عليه السلام: **«بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة»**[6].

٢ – معرفة الدّنيا وأحوالها: قال عليه السلام: **«إنّ من عرف الأيّام لم يغفل عن الاستعداد»**[7].

---

(١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٣.
(٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٣.
(٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٣.
(٤) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٣.
(٥) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٣.
(٦) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٥.
(٧) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٢٨٥.

٣ – تقوى الله تعالى: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أوصيكم بتقوى الله... أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم»**[١].

٤ – اللجوء إلى أطبّاء القلوب أي المعصومين عليهم السلام: حيث قال عليه السلام في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عُمْي وآذان صُمّ وألسنة بُكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»**[٢].

٥ – وثمّة أمور أخرى منها ذكر الموت والآخرة ومعرفة النّفس فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«ذكر الموت يميت الشهوات في النّفس ويقطع منابت الغفلة ويقوّي القلب بمواعد الله...»**[٣].

خاتمة: اهتمّ بإنسانيّتك:

إذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٤] يتّضح لنا أنّ حقيقة الغفلة وأسّها الأساس هو الغفلة عن النّفس وعدم الالتفات إليها، وإلى حقيقتها وقواها ومآلها والذي يولّد عدم الاعتناء بقواها؛ وفي الحقيقة إنّ الغفلة هي عن البعد الروحانيّ والحقيقة الإنسانيّة بالاستغراق في البعد الحيوانيّ، ولذا كان مَن هذه صفته كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩١.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠٨.
(٣) مستدرك الوسائل، ج ٢ ص ١٠٥.
(٤) سورة الحشر، الآية ١٩.

المحاضرة الثالثة

إصلاح ذات البين حرب على الشيطان

الهدف:

بيـان آثـار العـداوة والتهاجـر، ومطلوبيّة إصلاح ذات البين وفضلـه، وضرورة المبادرة إليه مع التنبيه على بعض سقطات المصلحين.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

مقدّمة: في العداوة سرور الشيطان

لقد حذّرنا الله تعالى في كتابه الكريم من الشيطان وعداوته، وأمرنا أن نتّخذه عدوّاً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[1].

وقد بيّن تعالى بعض أهداف الشيطان حيث قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ﴾[2] فمن كان ينتمي إلى الله ويتّبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصدّق بكتاب الله فعليه أن يضادّ إرادة الشيطان فلا يسمح للخصومة والعداوة والتشاحن والتباغض أن تحلّ محلّ الأخوة والمحبّة والصداقة والوئام، فالمجتمع ونفوس النّاس ساحات مواجهة هذا العدوّ الخبيث وفيها القتال والحرب معه على إزالة البغضاء، والعداوة والتقاتل والتناحر، لأنّها أسلحته التي يفتك بها في النّفوس والمجتمعات، فإذا ما آلت الأمور إلى التهاجر بين المسلمين والمؤمنين وصل اللعين إلى غرضه ومبتغاه، وحينها لا شكّ أنّه سيكون فرحاً مسروراً، وهذا ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكّت ركبتاه وتخلّعت أوصاله ونادى يا ويله ما لقي من الثبور»**[3].

(١) سورة فاطر، الآية ٦.
(٢) سورة المائدة، الآية ٩١.
(٣) الكافي، ج٢، ص٧.

فمن كان قد اتّخذ الشيطان عدوّاً، مطيعاً لأمر الله عليه أن لا يقاطع مسلماً ولا يهجر مؤمناً، وعليه الصلح بين المتهاجرين والمتباعدين والمتباغضين ولا يترك الأمر يطول فإنّه كلّما طالت العداوة والهجران طال سرور وفرح الشيطان.

محاور الموضوع

رسالة تحذير إلى المتعاديَيْن المتهاجرَيْن:

إنّ الله حرص على وسم علاقة المؤمنين بالأخوّة بل في الآية حصرها بالأخوّة حيث قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. فعلى المؤمنين أن يرى كلّ منهما الآخر آخاً له، فلا يفعل ما ينافي هذه الأخوة ولا يقيم على ما يفتّ ويزلزل هذه الإخوّة، ولأهمّيّة هذا الأمر فإنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أكّد عمليّاً على الأخوّة الإيمانيّة، بل الإسلاميّة من خلال المؤاخاة التي قام بها مرّة في مكّة وأخرى في المدينة المنوّرة.

فوجود العلاقة الحميمة والطيّبة بين المؤمنين، وبين المسلمين أمر حيويّ جدّاً بنظر الإسلام إلى درجة أن من يخالفه يكون بحكم الخارج عن الإسلام، وفي ذلك رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلّا ماتا**

خارجين عن الإسلام»[1].

ولحثّ كلّ منها على المسارعة والمبادرة إلى المصالحة جاء في رواية عنه ﷺ: **«أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلّا كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية، فأيّهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب»**[2].

إصلاح ذات البين أمر يحبّه الله:

عندما لا يبادر المتخاصمان من المؤمنين إلى التصالح من تلقاء أنفسهما فإنّه لأهمّيّة سلامة الأجواء والعلاقات بين أبناء الأمّة الإسلاميّة فقد أمر الله بقيام أبناء المجتمع المؤمن بالإصلاح بينهما فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

فإصلاح ذات البين معناه إصلاح العلاقات البينيّة أي بين الأفراد والجماعات داخل المجتمعات الإسلاميّة والمؤمنة، وقد جاء في فضل الإصلاح بين النّاس عن الإمام الصادق عليه السلام: **«صدقة يحبّها الله إصلاحٌ بين النّاس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»**[3].

بل إنّ إصلاح ذات البين من أفضل العبادات في ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته لولديه الحسن والحسين عليهما السلام إذ

(١) سفينة البحار، ج٢، ص٦٩٨.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٤٥.
(٣) الكافي، ج٢، ص٢٠٩.

يقول: «... **فإنّي سمعت جدّكما ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام**»[1].

ولو لم يكن في فضل هذا الأمر إلّا كونه أفضل من عمود الدّين الذي هو الصلاة لكفى.

فكيف إذا كان الإصلاح بين المتخاصمين أفضل حتّى من الصدقة بالمال ذي القيمة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**لأن أصلح بين اثنين أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارين**»[2].

الإصلاح في سيرة الأئمّة عليهم السلام:

يروي أحد الرواة قائلاً: مرّ بنا المفضّل وأنا وختني (صهري) نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثمّ قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتّى إذا استوثق كلّ واحد منّا من صاحبه قال: أما إنّها ليست من مالي ولكن (أبو عبد الله عليه السلام) أمرني: إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وافتديهما من ماله؛ فهذا من مال أبي عبد الله الصادق عليه السلام[3].

(١) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص٤٢١.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢٠٩.
(٣) الكافي، ج٢، ص٢٠٩، ح٢.

خاتمة:

- تنبيه إلى المصلحين:
- إنّ على من يريد إصلاح ذات البين أن يلتفت إلى أنّ بعض المصلحين من حيث لا يشعرون يرتكبون حراماً وهم يظنّون أنّهم في وارد الإصلاح، فمن هذه الموارد:

١ - إنهاء النزاع على حساب المظلوم:

المطلوب أوّلاً ما أمكن نصرة المظلوم بإحقاق حقّه وإقامة العدل، وليس المطلوب فضّ النّزاع وإنهاؤه وفصل الخصومة على حساب المظلوم ولصالح الظالم، حيث يقول تعالى في بعض موارد كلامه خصوصاً في حالات البغي والتعدّي: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1] أي الذين يجرون العدل في الصلح، خصوصاً في حالات خلافات الجماعات مع بعضها، لأنّ الصلح دون العدل، يعني أنّنا تركنا مادّة الخلاف والتنازع في النّفوس، وثانياً نكون قد أقَرَرْنا للباغي بغيه، وأعطينا صورة عن الإسلام تنافي العدل والقسط.

٢ - توهّم حرمة الكذب:

صحيح أنّ الكذب محرّم، وقد ورد ذمّ الكذب والكاذبين في القرآن وكذلك في أحاديث العترة الطاهرة، إلّا أنّ الصدق أحياناً في إصلاح ذات البين قد ينطبق عليه عنوان محرّم كالنميمة،

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

فإن قال المصلح ما سمع من كلّ من المتخاصمين للآخر يكون من حيث لا يدري سعى بينهما بما يترتّب عليه زيادة الخلاف وتعميق الشقاق وزيادة بُعد المسافات فيكون مشّاءً بالنميمة بين المؤمنين، هذا من جهة فإنّ الصدق هنا حيث يكون مصداقاً للنميمة لا شكّ أنّه حرام.

وثمّة أمر آخر لو اضطرّ المصلح للكذب حتّى يقرّب بين القلوب ويجمع بين النّفوس أن ينسب كلاماً لأيٍّ من المتخاصمين بما يؤدّي إلى ردم الهوّة وسدّ الفجوة فقد يجب أحياناً ولا يكون هذا من الكذب الحرام وهذا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا يصلح الكذب إلّا في ثلاثة مواطن... كذب الرجل يمشي بين الرجلين ليصلح بينهما»**[1].

بل إنّ حفيده الصادق عليه السلام أخرجه أصلاً من صدق عنوان الكذب، مبالغة في الإشارة إلى حلّيّته وعدم حرمته حيث قال عليه السلام: **«إنّ المصلح ليس بكذّاب، إنّما هو الصلح ليس بكذب»**[2].

(١) الذريعة، ص٩٨.

(٢) الكافي، ج٢، ص٢١، ح٧.

الليلة الثانية

المحاضرة الأولى:

زينب عليها السلام نموذج القيادة في المحنة

الهدف:

بيـان سرّ نجـاح زينـب عليها السلام في قيادة موكب السبي رغم المحن لتكون قدوة وأسوة.

تصدير الموضوع

تصدير الموضوع:

قال الإمام السجّاد عليه السلام لعمّته زينب عليها السلام: **«أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة»**[1].

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٣١.

مقدّمة: المحن محكّ الصدق والصادقين:

إنّ حقائق وقيمة ومعادن النّاس إنّما تتجلّى أكثر ما تتجلّى في أوقات الأزمات والمحن وتحت ضغط المعاناة والمكابدة للمشاقّ.

ولهذا كانت الإشارة الإلهيّة إلى نوعيّة خاصّة من النّاس وهم المجاهدون الصابرون الصامدون الثابتون المضحّون حيث قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

ولئن كانت الأزمات بما تأتي به من شدّة وعنف أحياناً تتسبّب بالكثير من المعاناة النفسيّة إضافة إلى الجسديّة والماديّة والمعنويّة، فإنّها تشبه المرجل الذي تغلي فيه العواطف والمشاعر، وتنصهر في ناره وفي غليانه النّفوس بكافّة أبعادها، وما تحمل من مبادئ وقيم على وقع ما تثيره من توتّرات وتهديدات وأخطار تؤدّي إلى اختلاط الأمور وتداخلها، وتشوّش الرؤى، وتزلزل النّفوس وخوار القوى. وينعكس تذبذباً في المواقف وتراجعاً عن المبادئ.

والتنويه الإلهيّ في الآية السابقة يشير إلى ذلك أنّ هؤلاء الصادقين من صفاتهم الثبات وعدم التبديل؛ لا في القناعات ولا في المعتقدات ولا في الآراء ولا في الرؤى وحتّى في المواقف وإن رأوا الموت فيمن قضى على هذا الطريق نحبه.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

فالأزمات والمحن هي المحكّ الذي يُحكُّ به النّاس لتظهر حقائقهم ومعادنهم، فبالمحكّ يظهر الجوهر من الحجر، وخصوصاً من يتحمّل مسؤوليّة القيادة؛ فالقيادة الماهرة الحاذقة القادرة والناجحة أكثر ما تتجلّى في أوقات المحن والأزمات وتحت صرير أنياب النكبات والمآسي.

ومن أهمّ النماذج التي تستحقّ أن تدرس في هذا المجال هو نموذج السيّدة زينب عليها السلام.

محاور الموضوع

الأخطار التي واجهتها زينب عليها السلام:

لا شكّ ولا ريب أنّ زينب عليها السلام تحمّلت في نهضة الحسين عليه السلام وثورته مسؤوليّات جساماً وأوكلت إليها مهامّ قبل المسير إلى كربلاء وفيها وبعد الواقعة؛ من موقع المعاضدة لإمام زمانها، فتارة كان هذا القائد هو الإمام الحسين عليه السلام وأخرى صار ابن أخيها الإمام السجّاد عليه السلام.

ومن موقع القيادة واجهت أخطاراً تتلخّص بأمرين: أوّلهما يتعلّق بدين الله دين جدّها الإسلام، حيث عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن هذا الخطر بما ردّ به على مروان بن الحكم حيث قال: إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنّه خير لك في

دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: **«إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد...»**[1].

والخطر الثاني: هو نفس بيت النبوّة الذي تعرّض لخطرين واحد له علاقة بطمس نوره وإغلاقه كبابِ هداية، بمعنى ضرب الإمامة فكراً وعقيدة، وثانياً: اجتثاثه بمعنى الإجهاز على السلالة بالقتل. وتأتّى عن حوادث الطفّ مجموعة أخرى من الأخطار تتعلّق بالأرامل والأيتام ومعاناة السبي وشماتة الشامتين وسياط الجلّادين وغير ذلك.

إلّا أنّ الخطرين الرئيسين هما: تدمير الإسلام وتغييره ومسخه، والثاني: اقتلاع الإمامة ماديّاً وفكريّاً وعقائديّاً. أي إطفاء نور آل البيت.

زينب عليها السلام في المواجهة قائد:

لقد لخّص الإمام الحسين عليه السلام نتائج القيام والنهوض في مواجهة الطاغية فقال: **«من لحق بنا استشهد ومن تخلّف عنّا لم يبلغ الفتح»**[2] فالنتيجة هي شهادة أبطال هذه الثورة، ولكن ثمّة نتيجة أخرى هي حرمان المتخلّفين عن الالتحاق بالركب الحسينيّ من الفتح وليس فقط من النصر والغلبة.

(١) مثير الأحزان، ص١٥.

(٢) مثير الأحزان (ابن نما الحلي).

إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام أشار إلى أنّ تحقيق أهداف الثورة والقيام والنهوض له ثمنان أو بعبارة أخرى له تدبيران إلهيّان عبّر عنهما بقوله:

«شاء الله أن يراني قتيلاً». «شاء الله أن يراهنّ سبايا»[1].

فالركن الأوّل لتحقيق الأهداف ومواجهة الأخطار هو جهاد الحسين عليه السلام وصحبه واستشهادهم بالكيفيّة التي حصلت يوم العاشر من المحرّم، والركن الثاني من التدبير الإلهيّ لتؤتي النهضة أكلها وتنتج ثمرها هي تحمّل زينب عليها السلام والنساء والأطفال السبي ومواجهة الظالمين.

فقائد المواجهة العسكريّة في ساحات كربلاء هو الحسين عليه السلام، وقائد المواجهة الجهاديّة في قصور الظالمين وصحارى السبي وسياط الجلّادين هو زينب عليها السلام.

وبنجاحها بهذه القيادة يكتمل النجاح للثورة الحسينيّة.

إنّ المنصب القياديّ الذي تبوّأته زينب في المسيرة الحسينيّة اقتضت أن تحمل صفات تؤهّلها للنجاح فيها إذ لا يستطيع أن يتحمّلها إلّا من كان معصوماً أو قاب قوسين أو أدنى من ذلك، بمعنى العصمة الفعليّة وهذا ما أشار إليه الإمام السجّاد عليه السلام بقوله لها: **«أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة»**[2].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٣١.

وهي تحتاج إلى الشجاعة وقد ورثتها من أبيها عليّ عليه السلام، واحتاجت إلى بيان لا يقلّ عن بيان أمّها بل بيان أبيها سيّد البلغاء، ولذا قال فيها من سمعها وهو حذيم الأسديّ: لم أر والله خفرة قطّ أنطق منها، كأنّها تنطق وتفرغ عن لسان عليّ عليه السلام، وقد أشارت إلى النّاس بأن أنصتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس[1]، وذلك عندما خطبت النّاس في الكوفة، والشخص نفسه - أي حذيم - يصف أثر كلامها فيقول: فرأيت النّاس حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم، وبدأوا بالبكاء وبانت عليهم علامات الحيرة والندم[2].

هذا إضافة إلى التربية الخاصّة التي حظيت بها من أبيها وأمّها، وكذلك الظروف والمحن التي كابدتها قبل عاشوراء بما أهلّها لتحمّل ما حملته في ذلك الظرف.

نموذج النجاح في المحن:

إنّ زينب عليها السلام لم تنجح فقط في القيادة في المحنة، ولكنّها شكّلت النموذج للنجاح في القيادة في المحن حيث استطاعت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وابتداءً من هجوم الجيش على الخيام، أن تدير الموقف فحفظت الأطفال والنساء والإمام السجّاد، وكذلك حفظت سلالة الإمامة في قصر ابن زياد بما أثار

(١) أمالي المفيد، ص٣٢١.
(٢) أمالي الطوسي، ص٩٣.

تعجّبه حينما ألقت نفسها عليه فادية له بنفسها؛ وكذلك في مواجهة طاغية الزمان في قصره؛ وفي هذا الموقف نقول: إنّ القائد الفذّ هو الذي يستطيع أن ينقل الأزمة التي يريد عدوّه إيقاعه فيها إلى ديار العدوّ وإلى معسكر العدوّ وإلى نفس العدوّ.

فقد ألقت زينب عليها السلام خطبتها في مجلس الطاغية فهزّت أركانه وزلزلت بنيانه ونكّدت عليه فرحته بما اعتبره نصراً وإنجازاً، وملأت مجلسه وحاضريه الرعب في قلوبهم، وغلب عليهم التوتّر والخوف وقد قالت الدكتورة بنت الشاطئ فيها: أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أميّة لذّة النّصر وسكبت قطرات من السمّ الزعاف في كؤوس الكافرين[1].

خاتمة:

ويصحّ القول إنّ زينب عليها السلام قد أعلنت نتيجة المواجهة عندما قالت ليزيد لعنه الله:

«فكد كيدك، واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا»[2].

فالبيت الهاشميّ ونبوّته والإمامة باقية والإسلام المرموز إليه بالوحي باقٍ، وأمّا الباغي فله عكس ما أمل: **«ولا يرحض عنك عارها»**.

(١) موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص٣٦٤.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، ص١٠٧.

نعم لقد تحمّلت زينب عليها السلام المسؤوليّة ونجحت فكانت عند حسن ظنّ ربّها عندما قبلت أن تعاني في طريق الحقّ وفي سبيل الله، قابلة وراضية بالمشيئة الإلهيّة.

فالسلام عليها ما دامت الدنيا بل ما دامت السموات والأرضون.

المحاضرة الثانية

الدور الجهاديّ للمرأة

الهدف:

بيان دور المرأة في الجهاد، والإضاءة على بعض النماذج لا سيّما ما كان لزينب عليها السلام من أفعال وأقوال والحثّ على قيام المرأة بأداء هذا الدور.

تصدير الموضوع

في الحديث الشريف: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[1].

(١) فروع الكافي، ج٥، ٢، ص٩.

مقدّمة: للمرأة موقعها في المشروع الإلهيّ للإنسانيّة.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

في ضوء هذه الآية الكريمة وفي ضوء ما هو المركوز في الفهم الإسلاميّ لدور وظيفة الأمّة الإسلاميّة التي تتلخّص بعبارة إعلاء كلمة الله في الأرض، من خلال نشر رايات الهدى وتطبيق شرع الله تعالى تتحمّل الأمّة هذه المسؤوليّة التي إن وفّقت للنهوض بها فإنّ خيرها سيعمّ البشريّة جميعها، لتصبح كما قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2].

فحينها ستكون الأمّة الإسلاميّة حاملة القيم الإنسانيّة الراقية والداعية غيرها إلى تبنّيها والساعية إلى نشرها وحفظها، وكذلك ستكون الشاهدة على ذلك من جهة كونها رقيبة على ذلك ومن خلال تقديم النموذج الراقي والمثال المأمول للإنسانيّة المصاغة على التعاليم الإلهيّة. وهذه المسؤوليّة وما تستتبع من أدوار ومهامّ ووظائف لا تختصّ بالذكور والرجال من المسلمين والمؤمنين بل لا شكّ ولا ريب أنّ للمرأة موقعها في هذا المشروع، وللمرأة أدوار ووظائف، والتاريخ والسيرة البشريّة وسنن الاجتماع الإنسانيّ تفصح

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

أنّ طريق تحقيق هذه الأهداف ليست مفروشة بالورود، بل غالباً ما تكون محفوفة بالمخاطر عبر الصراعات العسكريّة، وبالتالي فثمّة مهامّ جهاديّة في مواجهة المعادين من الظلَمة والجائرين والكافرين.

محاور الموضوع

فما هو دور المرأة في الجهاد؟

لا يختلف دور المرأة في تبليغ الرسالة ونشرها والدعوة إليها كثيراً عن دور الرجل، وإنّما الذي هو محلّ تساؤل هو دورها في حالات الصراع العسكريّ والجهاد. وقبل الخوض في مفردات هذا الدور لا بدّ من الإشارة إلى أمر وهو أنّ الإسلام عندما أراد أن يرسم للمرأة دورها في الحياة ويحدّد لها وظيفتها راعى مقتضيات تكوينها الطبيعيّ والنفسيّ وذلك لأنّ طبيعة الاجتماع الإنسانيّ تحتاج إلى المرأة في أنوثتها وعاطفتها ورهافة أحاسيسها وبدونه لا تتكامل الإنسانيّة على صعيد الأفراد كما على صعيد المجتمعات وعلى صعيد الإنسانيّة.

والآن تعالوا نُضئ على مفردات هذا الدور والذي يتلخّص بما يلي:

١ – الدور التعبويّ:

بمعنى القيام بما يستنهض الهمم ويشعل الحماس في نفوس

المجاهدين من خلال الخطب، والأشعار الحماسيّة، وكذلك من خلال بعض الأفعال الأخرى.

وفي تاريخ الإسلام نماذج من ذلك تلك المرأة التي كانت مع جيش أمير المؤمنين تستنهض همم المجاهدين وتستثير حميّتهم ونخوتهم وتعمل على تحفيزهم للقتال حتّى وقع في نفس معاوية منها ما وقع وظلّ في نفسه شيء منها إلى ما بعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام.

وفي كربلاء نجد نماذج راقية، أمّ وهب التي أقحمت ولدها العريس ميدان الجهاد والشهادة وأبت عليه إلّا أن يقتل بين يدي حفيد رسول الله، بل كانت تقول وتحمل معه وإلى جانبه: **«لن أعود حتّى أموت معك»**[1].

وثمّة امرأة في نساء كربلاء هي قائدتهنّ وقدوتهنّ زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام التي كان لها دور على صعيد هذه التعبئة ورفع الروح المعنويّة، قامت به خير قيام ومن تفاصيل وخطوات هذا، دورها ليلة العاشر عندما كانت تُسائل أخاها، ولعلّها كانت عالمة بأنّ ثمّة من يسمع كلامها من الأنصار، وهي تقول له أنّه هل استخبر نيّات أصحابه لعلّهم يسلموه عند الوثبة، فأشعلت هذه الكلمات نفوس الأصحاب وكذلك الهاشميّين، فخرجوا عن أجمعهم ليُسمِعوا زينب عليها السلام والحسين عليه السلام

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص٤٤.

والنساء ما يثلج الصدور من عزمهم على النصرة والتضحية، وثانياً هو ما يختصّ بأخيها الحسين عليه السلام عندما سمعته يردّد الأبيات التي فيها:

يـا دهـر أفٍّ لـك مـن خـليـلِ
كـم لـك في الإشـراق والأصـيـل
مـن صـاحـب وطـالـب قـتـيـل
والـدّهـر لا يـقـبـل بـالـقـلـيـل
وكـلّ حـيٍّ سـالـك سـبـيـلـي[1]

فصاحت قائلة له: كأنّك تغتصب نفسك اغتصاباً، وأنّ هذا أقرح لفؤادها.

فهي تقول ما مضمونه أنّ إقدامه عليه السلام على القتال فالشهادة مكرهاً أشدّ إيلاماً لقلبها من نفس القتل والشهادة. ولعلّه عليه السلام كان يريد لها أن تصل إلى هذا الموقف وهذا الرأي لتكون شريكة له في قرار القتال حتّى الشهادة.

٢ - خدمة المجاهدين وتمريضهم:

وتلخّص ذلك الصحابيّة الجليلة أمّ عطيّة فتقول: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع غزوات وكنت أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى»[2].

(١) روضة الواعظين، ص١٨٤.
(٢) المرأة في حضارة العرب، ص٢٧.

٣ – الجهاد بالمال:

لقد أمر الله المؤمنين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأنّه اشترى منهم أموالهم كما اشترى منهم الأنفس.

ومن أبرز النساء المجاهدات بالمال السيّدة خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين التي أنفقت كلّ مالها في دعم الدعوة الإسلاميّة عندما كانت في أوائل خطواتها وفي أضعف حالاتها.

٤ – رعاية عوائل الشهداء:

وهنا يبرز دور العقيلة زينب عليها السلام في حفظ أيتام الشهداء ورعايتهم طيلة مسيرة السبي، بل في الروايات أنّها كانت تطعم الأيتام حصّتها من الخبز وتطوي أيّامها جوعاً حتّى أثّر فيها ذلك.

خاتمة: أدوار ووظائف أخرى للمرأة:

للمرأة أدوار قامت بها تذكرها كتب السير، فمن ذلك الدور الأمين الذي قامت به صفيّة بنت عبد المطّلب التي قامت بقتل من تسلّل من المشركين إلى معسكر النبيّ للتجسّس وإلقاء الفتنة ولجمع المعلومات وكان من اليهود، ممّا ألقى الرعب في قلوبهم[1].

وكذلك قامت بعض النساء بالجهاد العسكريّ عندما فرّ الرجال من ساحات القتال كما فعلت نسيبة المازنيّة في أحد.

(١) أسد الغابة، ص٤٩٢.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ثمّة وجوهاً أخرى للحرب كالحرب النفسيّة والإعلاميّة والثقافيّة، تستطيع المرأة أن تؤدّي فيها دورها، ومن أبرز من يعطينا في ذلك درساً دور السيّدة زينب في حفظ العقيدة الإسلاميّة ومفاهيمها والردّ على الحرب النفسيّة التي شنّها الطغاة عندما ردّت على من أراد قلب المفاهيم بالقول كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ حيث كان الردّ كلاماً يثبت العقيدة ويردّ الحجر من حيث أتى: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم فانظر لمن الفلج...[1].

(١) مثير الأحزان، ص٧٩.

يا عبد الله

المحاضرة الثالثة

الكسل موت

الهدف:

بيان الكسل وأضـراره والحثّ على الجدّ والنشاط والعمل واتخاذ الحرفة.

تصدير الموضوع

عن الإمام الباقر عليه السلام: **«الكسل يضرّ بالدّين والدّنيا»**[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٨٠.

مقدّمة: الكسل يضرّ بالدّين والدّنيا:

من الآفات التي يبتلى بها الإنسان الفرد الكسل، ولخطورة الكسل في حياة الفرد والأمّة جاء الإسلام وإدراكاً منه لما للعمل والجدّ والنشاط من أهمّيّة في رقي الأمم وتطوّرها وتقدّمها، فقد حثّ على العمل والجدّ والنشاط ومدح ذوي الهمم العالية وأصحاب الطموح في العلم والعمل، وشنّ حملة على البطالة، والكسل، والتكاسل، و هو ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: **«الكسل يضرّ بالدّين والدّنيا»** كما سبق.

ولّما كان البعض يتوهّم أنّ العمل في سبيل تحصيل المعاش هو طلب للدّنيا وهو مناف للدّين، وهذه نظرةٌ مشوّهة للدّين، جاء الحديث الشريف ليصوّب هذه النظرة قائلاً: **«اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً»**[1].

فالعمل في سبيل المعاش أمر ضروريّ والإسلام يبغض من يكون كلّاً على غيره يلقي على غيره مسؤوليّة إعالته.

والشبهة السابقة عن منافاة العمل للزهد وللدّين بالآخر واجهها أئمّة أهل البيت وبصورة مباشرة حيث جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: **«ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه»**[2].

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص ٧٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٤٩.

فلا بدّ من الموازنة بين الدّنيا والآخرة ليستقيم الإنسان وتستقيم حركته.

محاور الموضوع

آثار الكسل ونتائجه:

ممّا هو معروف عند العقلاء أنّ الكسل من الأمور التي تمقتها النّفوس السليمة، ويبغضه العقلاء لنتائجه المدمّرة في الأفراد والمجتمعات، فعلى الصعيد الفرديّ فإنّه يؤدّي إلى هدم الشخصيّة، فالكسل مرض يجعل صاحبه متثاقلاً عن العمل وعن تحمّل المسؤوليّات، وممَّا ذكر في الروايات حول نتائج الكسل:

١ - عدم أداء الحقوق:

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إيّاك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنّك إن ضجرت لم تصبر على حقّ، وإن كسلت لم تودِّ حقّاً»**[١] فمن الطبيعيّ جدّاً أنّ الكسول لا يستطيع القيام بحقوق نفسه ولا يقوم بما يلزم من عمل لنفعها فلا يؤدّي حقّها، فكيف لا يكون عاجزاً عن حقوق الآخرين؟

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٦٥.

٢ – التقصير في طاعة الله:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إيّاكم والكسل فإنّه من كسل لم يؤدّ حقّ الله عزّ وجلّ»**[١].

٣ – الفقر:

وهو نتيجة وثمرة طبيعيّة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ الأشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج بينهما الفقر»**[٢].

ولذا فإنّ مصير الكسول هو أن تهون عليه نفسه حتّى يصل إلى إراقة ماء وجهه بالاستعطاء والاستجداء والسؤال، والتسكّع ومدّ يده سائلاً المساعدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«مسألة النّاس من الفواحش»**[٣].

٤ – الكسل مانع من الحظوظ:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إيّاك والكسل والضجر فإنّهما يمنعانك من حظّك من الدّنيا والآخرة»**[٤].

ومن ذلك ما عن باقر العلوم عليه السلام: **«إنّي لأبغض الرجل أن يكون كسلان عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»**[٥].

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٦٥.
(٢) الكافي، ج٥، ص٨٦.
(٣) جامع السعادات، ج٢، ص٨٩.
(٤) الكافي، ج٥، ص٨٥.
(٥) الكافي، ج٥، ص٨٨.

٥ – المبغضة من الله والصالحين بل حتّى النّاس:

فبغض النّاس أمر لا يستطيع عاقل إنكاره وهو جارٍ على كلّ لسان من ألسنة عقلاء النّاس، أمّا مبغوضيّة الكسل والكسول عند الله فمن ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الله عزّ وجلّ يبغض العبد النوّام الفارغ»**[١].

٦ – ضياع الأفراد والمجتمعات:

إنّ الأفراد الكسولين يصبحون عبئاً على عائلاتهم وثقلاً عليها وعلى المجتمعات التي ينتمون إليها، فهم فئة تستهلك ولا تنتج؛ عاجزون بسبب مرض الكسل ويصيبون المجتمع بالعجز، والعجز يوجب الذلّ لصاحبه وكذلك لمجتمعه، وقد جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: **«العجز مهانة»**[٢].

وقال عليه السلام: **«العجز آفّة»**[٣].

وأي آفّة أعظم من مرض يصيب الفرد والمجتمعات بالشلل؟ فكما تشلّ يدا الكسول فلا تجلب خيراً ولا تدفع سوءاً كذلك إذا انتشر مرض الكسل يشلّ الأمّة.

(١) الكافي، ج٥، ص٨٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٦، ص١٥٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٦، ص١٦٠.

فالكسل سبب التأخّر والانحطاط في الأمم، وهو مرض يجرّ بعضه بعضاً، فمن كسل عن شيء سوف لا ينفكّ يكسل عن غيره، فغيره حتّى يصبح ميتاً قبل أن يموت.

ما العلاج؟

١ - النشاط

إنّ النشاط على عكس الكسل، فلئن كان الكسل يمثّل الموت، فالنشاط هو الحياة، ولولا أنّ أجدادنا كانوا نشيطين ما ورثنا هذا البنيان وتلك الحضارات وذلك العمران، والثقافة والعلوم والخبرات الهندسيّة والطبّيّة والزراعيّة وغير ذلك.

وروي أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يشكو من الكسل المستشري في زمانه، فإذا به يقول: **«لا تكسلوا في طلب معايشكم فإنّ آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها»**[1].

٢ - اتّخاذ الحرفة:

ولقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة أهل البيت عليهم السلام مثالاً للعمل والنشاط والجدّ ومن الروايات الرائعة في حثّهم على العمل بل على اتّخاذ الحرفة جاء في الحديث أنّه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: **«هل له حرفة؟»** فإن قالوا لا، قال: **«سقط من عيني»**، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: **«لأنّ المؤمن إذا**

(١) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٨.

لم يكن له حرفة يعيش بدينه»[1] وهذا تحذير من أمر خطير، وهو أنّ صاحب الدّين إذا لم يستطع أن يستقلّ ماليّاً وينتج ما يكفيه فمعنى ذلك أنّه إذا ما أراد ما يعيش به لن يجد سلعة ليبيعها إلّا دينه...

خاتمة: بالعمل نواجه المستكبرين:

إنّ مطالعة الواقع السياسيّ والسياسات العالميّة والإقليميّة تفضي إلى نتيجة أنّ ثمّة حرباً يشنّها المستكبرون والطغاة وأذناب هؤلاء من مالكي الثروات، بل ناهبي ثروات الشعوب، وهذه الحرب هدفها الإضعاف، من خلال تحويلنا إلى شعوب لا كرامة لها، عبر إفقارنا وتحويلنا إلى شعوب متسوّلة.

ولا يمكن مواجهة سياسات الإفقار والإذلال إلّا بالعمل والنشاط والجدّ والاجتهاد، فَلْنُلاقِ جهاد المجاهدين في ساحات القتال بجهادنا في ساحات العمل والإنتاج ليكون لنا مثل أجرهم.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«أجر العامل أجر المجاهد في سبيل الله»**[2].

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ١٢.

(٢) الكافي، ج٥، ص٨٨.

الليلة الثالثة

يا عبد الله

المحاضرة الأولى

خير الأمم الموحّدة المتضامنة

الهدف:

بيان أهمّيّة التضامن ووجوهه والحثّ على التكافل وقضاء الحوائج ونصرة المظلومين والمحافظة على الوحدة.

تصدير الموضوع

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[1].

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

مقدّمة: خير الأمم أمّة التضامن:

جاء الإسلام ليبني أمّة، ولكن ليس كما كان سائداً ومفهوماً في ذلك الزمن، الأمّة التي يريدها الإسلام أمّة يصوغها الدّين، فتحمله عقيدة، وتجسّده قيماً ومفاهيم وتعكسه سلوكاً في حركة الأفراد والجماعات.

وقد أكّد الإسلام على ذلك بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

فأمّة الإسلام أمّة هي في نفسها بما تحمله خير الأمم من عقيدة وفكر ومفاهيم وقيم، وهي خير أمّة أخرجت للنّاس، فخيرها ليس محبوساً فيها، وإنّما هو خير واصل لغيرها من الأمم، حيث تقدّم النموذج الأفضل للأمم على طول المسيرة البشريّة، بل هي خلاصة جهود الأنبياء والأولياء وثمرة حركتهم؛ وهذه الأمّة لن تكون خير أمّة أخرجت للنّاس ما لم يفض خيرها ويصل إلى غيرها عبر أمرين، تقديم النموذج الرائع والجذّاب والنوّار بالفضائل وما لم تقم بمهمّة نشره وتوسيعه، وذلك لا يقوم إلّا بدوام حركة التطهير أو فقل الإصلاح الداخليّ ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأنّ هذه المهمّة مسؤوليّة عامّة فإنّ صناعة خير الأمم، وإبراز آيات جلالها وجمالها لا يكون إلّا بتجسيد مبدأ: ﴿وَتَعَاوَنُوا

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[1].

والذي يمكن تسميته باعتماد منهج التضامن بين المسلمين خصوصاً في أيّام الأزمات التي تواجهها الأمّة.

محاور الموضوع

دور التضامن في بناء الوحدة:

إنّ الأمم خصوصاً الأمّة الإسلاميّة تواجه في مسيرتها وحياتها أزمات ذات أنواع وألوان فمنها:

- الأزمات الاجتماعيّة
- الأزمات الاقتصاديّة
- الأزمات الأمنيّة والعسكريّة
- الأزمات الطبيعيّة أو الكونيّة الناتجة من الكوارث والآفات الطبيعيّة
- أزمات ثقافيّة وفكريّة

ومن أخطر الأزمات الأمنيّة التي تواجهها الأمّة الفتن التي يسعى الأعداء إلى إيقاع الأمّة فيها والتي تأخذ أشكالاً وتتخذ أدوات فكريّة وثقافيّة وأحياناً عرقيّة وغير ذلك، بهدف تمزيق الأمّة والسيطرة عليها.

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

فالتضامن والتكافل والتعاون بين مختلف قوى الأمّة كفيل بدفع أخطار هذه الأزمات جميعاً، وحفظ الأمّة ومجدها وعزّها والتضامن ركيزة من ركائز بناء وحدة الأمّة الكفيلة بدرء هذه الأخطار وكبح قدرتها على تقويض بنيان الأمّة، ولذا كان التأكيد على هذه الوحدة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

كيف يتجلّى مبدأ التضامن والتعاون؟

ثمّة ألوان مختلفة يتجلّى فيها مبدأ التضامن والتعاون الذي قوامه كونه تعاوناً وتضامناً على ما فيه تقوى الله، أي حول قيم الإسلام وشريعته وعقائده ومفاهيمه، وليس تضامناً قبليّاً على طريقة نصرة القريب ظالماً أو مظلوماً، بل في ضوء ما فيه رضا الله واجتناب سخطه، ومن المجالات التي يتجلّى فيها التضامن:

١ - لزوم الوحدة:

بمعنى ملازمة كلّ قول وفعل يقوّي عرى الوحدة بين المسلمين وعدم الذهاب إلى ما يوجد الفرقة والتناحر وقد دعانا الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك قائلاً: «**من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٢) الكافي، ج١، ص٤٠٥.

٢ - التكافل الاجتماعيّ وقضاء الحوائج:

فالتكافل الاجتماعي القائم على حبّ المسلم لأخيه المسلم وإيثاره، وأن يكون ضمير المسلم صاحياً اتجاه أخيه المسلم كما يمكن تفسير الحديث المشهور عنه ﷺ: **«من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»**[١].

فالمطلوب أن يحمل المسلم هموم أمّته وأبناء أمّته وليتحوّل هذا الاهتمام إلى خطوات عمليّة إذ إنّه حين سئل رسول الله ﷺ: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال ﷺ: **«اتّباع سرور المسلم»**؛ قيل: يا رسول الله: وما اتّباع سرور المسلم؟ قال ﷺ: **«شبعة جوعه، وتنفيس كربته، وقضاء دينه»**[٢].

فالتكافل الاجتماعيّ حقيقة هو نظام أخلاقيّ يستند إلى خلفيّة عقديّة ومن وجوه تجسيد التزامه الدينيّ وانتمائه إلى الإسلام.

٣ - نصرة المظلوم:

فيما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«يقول الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لأنتقمنّ من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمنّ ممّن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره»**[٣].

فالإسلام يريد بذلك تربية المنتمين إلى عقيدته والملتزمين

(١) الكافي، ج٢، ص١٦٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٥٦.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٧٧٤.

بشريعته على خلق عظيم وهو رفض الظلم ومقاومته، سواء أتى الظلم من خارج الأمّة الإسلاميّة ومن عدوّ خارجيّ؛ أو كان الظالم من داخل الأمّة فرداً عاديّاً كما يمكن الفهم من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: **«اللهمّ إنّي أعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره...»**[1].

أم مطلقاً كما جاء في وصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب لولديه الحسن والحسين عليهما السلام حيث قال: **«وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»**[2].

وحيث إنّ بعض أنواع الظلم خصوصاً الداخليّ والذي قد يقع من سلطان جائر غاشم فثمّة مبدأ آخر متفرّع على مبدأ نصرة المظلوم وهو التناحر الذي هو من تجلّيات التضامن والتعاون، فالتناحر هو بالدرجة الأولى نوع من الحركة الموحّدة والجماعيّة في مواجهة الظلم الخاصّ أو العامّ لكن أهمّ تحدّياته ومجالاته الظلم العامّ الواقع على الأمّة أو فئة كبيرة منها؛ ومعناه أن يلتزم أبناء المجتمع بنصر بعضهم بعضاً ونصر الله تعالى، وإن كان نصر بعضهم بعضا وهم محقّون هو نصر لله، فإن فعلوا ذلك ولم يتخاذلوا يتحقّق الوعد الإلهيّ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[3].

(١) الصحيفة السجّاديّة دعاء التوبة.

(٢) نهج البلاغة، الوصية رقم ٤٧.

(٣) سورة الحجّ، الآية ٤٠.

ولذا اعتبرت النصرة من واجبات كلّ مسلم اتجاه كلّ مسلم وقد رتّب الله تعالى على نُصرته لأخيه أجراً كبيراً، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«مَن أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنّة مصاحباً»**[1] فيما يترتّب على خذلان المسلم للمسلم خذلان الله له من مواطن هو أحوج ما يكون فيها للنصرة.

خاتمة: الحسين عليه السلام شهيد النصرة:

إنّ القارئ لتفاصيل السيرة الحسينيّة، يعرف بيقين أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام من مقوّماتها ذلك الظلم الواقع على أبناء الأمّة الأمنيّ والاقتصاديّ وحتّى الفكريّ والعقائديّ، ولم يكن مثل الحسين عليه السلام ليقرّ على ذلك ولا ليسكت عن استصراخ دين الله له وهو الأجدر بالنهوض والثورة، ولكن ثمّة أمر آخر واضح وهو تلك الكتب التي أتته والرسل التي وافته من شتّى أرجاء الأمّة وبالخصوص من أهل العراق يشكون ما يقع عليهم من ظلم بني أميّة، فاستصرخوا كما عبّرت زينب عليها السلام الحسين وأهل بيته والهين... لكن كان ما كان من خذلان...

ندعو الله أن يجعلنا من الثابتين الناصرين المتناصرين المتعاونين على كلّ ما فيه تقوى الله تعالى.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٥٩.

يا عبد الله

المحاضرة الثانية

من اعتبر ترك الشبهات

الهدف:

بيان أنّ سبب هلاك واندثار الأفراد والمجتمعات هو ارتكاب الذنوب والآثام، والدعوة إلى الاعتبار من قصصهم، وبيان أنّ ترك الشبهات هو نتيجة هذا الاعتبار مع بيان فائدة وعلّة ذلك مع الحثّ على اجتناب الشبهات.

تصدير الموضوع

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الدّاء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النّار»**[1].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠، ص٣٤٧.

مقدّمة: الذنوب سبب الاندثار:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].

ممّا هو من دأب العقلاء أن يكون التاريخ وحوادثه وقصص الأفراد والجماعات عبرة لهم، يقرؤونها، أو يستمعونها، فيستفيدون منها دروساً ومواعظ تعينهم في حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة وغير ذلك، فآثار الأمم السابقة خير معين لاستفادة الخبرات وأخذ العبر، وقد أمرنا الله تعالى بأخذ العبر من حوادث الزمان فقال عزَّ من قائل: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[2].

ولقد اعتمد القرآن الكريم أسلوب إيراد القصص لعلّة التذكّر والتدبّر: فقال عن ذلك: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

ولاستخلاص الدروس والعبر المشروطة بالكون من أصحاب القلوب اليقظة الفهمة فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[4].

وفي عين ما هو مدح لمن صفتهم أخذ العبر من قصص الصالحين، فكذلك في ذلك ما لا يخفى من الحثّ على ذلك.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٧.
(٢) سورة الحشر، الآية ٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.
(٤) سورة يوسف، الآية ١١١.

وحقيقة ذلك أنّه لله في الأمم والاجتماع الإنسانيّ وفي التاريخ البشريّ سنن وقوانين، والتفكّر والتدبّر، والاعتبار يعين الإنسان على اكتشاف هذه السنن، ويساعد المؤمنين المأمورين بالاعتبار على التطوّر والتقدّم والبقاء لأنّهم سيكتشفون سننها وكذلك تعين الأمّة والأفراد على اجتناب كلّ ما يورد في سنن التراجع، والتدهور والاندحار. ومع مطالعة القصص القرآنيّة سنجدها تصرح بالتالي:

إنّ سبب موت الأمم واندثارها، وسبب تراجع الأفراد وتدهورهم وهلاكهم هو الغرق في الذنوب والآثام.

محاور الموضوع

أمير المؤمنين يأمرنا بالاعتبار:

فيما نقل عن الإمام عليّ عليه السلام ما به الإشارة بل التصريح بالاستفادة العمليّة وليس فقط العلميّة من قصص الماضين حيث قال عليه السلام: **«فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته...»**، ثمّ أضاف بما يعني أنّ من لا يعتبر إنّما يكون ذلك بسبب الكبر... **«واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر»**... ليصل إلى الدرس العمليّ قائلاً: **«... فتذكّروا في الخير والشرّ أموالهم واحذروا أن تكونوا**

أمثالهم...» ثمّ أمر عليه السلام قائلاً: **«... فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم ومدّت العافية به عليهم...»** وأضاف **«... واجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم وأوهن منّتهم...»**[1].

هذا على الصعيد العامّ حيث: أمر بالوحدة واجتناب الفرقة وترك الضغينة والخصومات والمقاطعة والمعاداة وترك التعاون.

ترك الشبهات نتيجة الاعتبار

وممّا جاء في أمر الإمام عليّ بالاعتبار مما يمكن الاستفادة منه على الصعيد الشخصيّ والفرديّ قوله عليه السلام: **«إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات، حجزه التقوى عن التقحّم في الشبهات»**[2].

والمعنى البسيط هو أنّ من كشفت له المواعظ عن العقوبات التي نزلت بالنّاس كانت التقوى رادعاً له عن ارتكاب الأمور التي لا يعرف أهي حقّ أم باطل صواب أم خطأ، حلال أم حرام بسبب التباسها عليه.

وإنّما صرّحت هذه الحكمة بعلّة ترك الشبهات ذلك أن ما نزل بالأفراد والجماعات الغابرة من عذاب وعقوبة مقطوع السبب وهو أنّه ناجم عن مخالفة أوامر الله وعدم طاعة أولياء الله، فمن يستفيد هذه العبر، فاعتباره هذه يشكّل له رادعاً ليس فقط عن

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

ارتكاب واقتراف ما ارتكبوه، وإنّما يكون رادعاً ومانعاً عن الدخول فيما يشتبه أنّه من المحرّمات؛ فمن اتّعظ بأحوال الماضين أمكنه الابتعاد عن المحرّمات.

ما الذي يمنع ارتكاب الشبهات:

لقد صرّحت الرواية عن أنّ ما يشكّل مناعة من أمراض الذنوب، ومن العيوب وإتيان المشتبهات هو التقوى، ولذا قال الإمام عليّ عليه السلام: **«حجزه التقوى عن التقحّم في الشبهات»**.

فالتقوى حقيقة تشكّل مقوّياً، يعضد جهاز المناعة من مخالفة الله تعالى والتعرّض لما يبغضه، لأنّها تقوّي في الإنسان إرادته، وتشيد بنيان عزمه وتساعده على تحمّل مشاقّ الصبر.

لكن ليست أي تقوى هي التي تحجز عن الشبهات فالتقوى أنواع منها:

١ – تقوى العامّة وهي الاحتماء عن الذنوب.

٢ – تقوى الخاصّة هي من اجتناب الشبهات.

ولها أنواع ودرجات أرقى لا مجال لذكرها، فإذا قويت التقوى كانت مانعاً من ارتكاب الشبهات، وحينها وفيما جاء عن ذلك عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«إنّ لكلّ ملك حمى، وإنّ حمى الله حلاله وحرامه، والمشتبهات بين**

ذلك كما لو أنّ راعياً رعى إلى جانب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه، فدعوا المشتبهات»[1].

فالعلّة إذن هي أن يكون الإنسان في سيره في هذه الحياة بعيداً عن احتمال الوقوع في ارتكاب ما يخالف أوامر الله والشرع الحنيف.

من القصص في اجتناب الشبهات:

ما دمنا بدأنا حديثنا بضرورة الاستفادة من القصص وأخذ العبر منها، ونحن بصدد الحثّ على ترك الشبهات نورد هذه القصّة: دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال له: **«تجهّز حتّى تخرج إلى مصر فإنّ عيالي قد كثروا»**، قال: فتجهّز بمتاع وخرج مع التجّار إلى مصر، فلمّا دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامّة (أي ما يحتاجه عامّة النّاس) فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلمّا قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى المدينة، فدخل مصادف على أبي عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم: ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح، فقال عليه السلام: **«إنّ هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم في المتاع؟»** فحدّثه كيف صنعوا

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٥٩.

وكيف تحالفوا؛ فقال: **«سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألّا تبيعوهم إلّا ربح الدينار ديناراً»**، ثمّ أخذ الكيسين فقال: **«هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح»**، ثمّ قال: **«يا مصادف، مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال»**[1].

خاتمة: عليل بالحمية من الذنوب:

إنّ الإنسان المصدّق بالله تعالى وبوعده وبوعيده، يفترض أن يكون عاملاً بجدّ واجتهاد لما وعد من الثواب والأجر والمقام والمنزلة عنده تعالى، وحذراً أشدّ الحذر ممّا توعّد عليه العقوبة والعذاب؛ ولكن الأحذق واللبيب يفترض أن يكون ليس فقط حذراً وإنّما أن يكون يقظاً منتبهاً لأفعاله وأقواله بل من أحاسيسه ومشاعره وظنونه ووسوسات صدره.

وليعلم أنّ بعض المباحات قد تكون مزلقاً، تنزلق معه النّفس إلى المحرّمات فلو اعتاد إنسان ما مثلاً على ذكر عيوب النّاس فيما يجوز، فإنّه لا يؤمن عليه أن يذكر ذلك حيث لا يجوز فيكون قد اغتاب.

ولقد تعجّب المعصومون فجاء عن أحدهم: **«عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النّار»**[2] والاحتماء من الذنوب يكون بالوقوف عند الشبهات.

(١) الكافي، ج٥، ص١٦٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠، ص٣٤٧.

المحاضرة الثالثة

فراغ سلامة لا ندامة

الهدف:

بيان قيمة العمر، والفراغ وخطورته وكيفيّة العلاج لأوقات الفراغ.

تصدير الموضوع

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له: **«فإن قدّرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة ولا تلحقنا فيه سأمة، حتّى ينصرف عنّا كتاب السيّئات بصحيفة خالية من ذكر سيّئاتنا ويتولّى عنّا كتّاب الحسنات عنّا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا»**[1].

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء ١١.

مقدّمة: انتبه لعمرك:

ممّا جاء في وصيّة لرسول الله ﷺ لصاحبه أبي ذرّ: «**يا أبا ذرّ، نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس: الصحّة والفراغ ...**» إلى أن يقول له بعد إيصائه باغتنام الشباب والصحّة والغنى والفراغ والحياة «**... يا أبا ذرّ؛ كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك**»[1].

إنّ الرسول ﷺ يوجّه إلينا وإلى كلّ مسلم هذه الوصيّة مؤكّداً فيها على الاستفادة من النعم التي خوّلنا الله إيّاها، والتي هي تحت أيدينا قبل أن نفقدها، فالعمر والصحّة والفراغ والشباب وكذلك الغنى هي الحياة وما يعرض فيها الحياة الدنيا والأمر بالاستفادة منها قبل نفاد العمر والانتقال من دار الدنيا إلى عالم الآخرة، ذلك العالم الذي يشكّل بكلّ تفاصيله ثمرة لزرع الدنيا، وجزاء لعملها، ونتيجة ودار الثواب أو دار الجزاء والعقاب.

وقد ذكر الله أحوال المقصّرين في الدنيا فقال مرّة: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[2].

فالدّار حينها ستكون دار حسرة والحسرة على التفريط بالعمر والنعم، ومقابلة الواعظين بالسخرية.

(١) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٧٥.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٦.

وقال تعالى ذكره مرَّة أخرى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[1].

فالآيتان تشيران إلى أنّ الذين ضيّعوا أعمارهم ولم يستفيدوا منها حقّ الاستفادة، أي بما يضمن لهم الآخرة ونعيمها سوف تعتريهم حالة الندم عندما ينزل الموت بساحتهم فيتمنّون بل يطلبون الرجوع لأجل العمل ولكن هيهات.

محاور الموضوع

قياس العمر:

وليعرف كلّ منّا قيمة عمره تعالوا نحاول ما هي وحدة قياس العمر، على أننا علينا الانتباه إلى أنّ العمر هو رأسمال الإنسان، والعمر حسابه بالزمن، ومن خواصّ الزمن أنّه يمرّ دون استئذان، وما ذهب منه لن يعود ولا يمكن استرداده، ولا يمكن تخزينه، فإنّه يمرّ عملنا فيه أو لم نعمل، أحسنّا فيه أو أسأنا.

وثمّة أمر يجب الالتفات إليه وهو أنّه كلّما كان الشيء أقلّ قيمة وأكثر وجوداً كان ثمنه أقلّ وكانت وحدة قياسه أكبر وكلّما كان أكثر قدرة، وأعلى قيمة والحاجة إليه مع ذلك أمسّ كانت

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ – ١٠٠.

وحدة قياسه أصغر.

فثمّة أمور تقاس بالأطنان وما هو أكبر، وهناك ما يقاس بالكيلوغرامات، ومنها ما يقاس بالغرامات، أو القراريط.

ولتعرف قيمة العمر نسأل: ما هي وحدة قياسه؟ هل هي القرون؟ أو العقود؟ أو غيرها؟ فعن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[1]؟ قال:» ما هو عندك؟» قلت: عدد الأيّام، قال: **«إنّ الآباء والأمّهات يحصون ذلك، لا، ولكنّه عدد الأنفاس»**[2].

وهذا ما أكّد عليه أمير المؤمنين عليه السلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: **«نفس المرء خطاه إلى أجله»**[3].

الفراغ ضياع للعمر:

فإذا كان العمر على هذا المستوى من الخطورة، وعلى هذا المستوى من القيمة، فهو على هذا نعمة من النّعم، وإذا كان نعمة فنحن سنُسأل عنه، وهذا ما أكّده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل، عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، عن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»**[4] فالعمر حقيقته هو الوقت وهو مقدّر بالأنفاس كما مرّ،

(١) سورة مريم، الآية ٨٤.
(٢) الكافي، الكليني، ج٣، ص٢٥٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٢٨.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٥٨.

فعندما ينتهي العدد المقدّر من هذه الأنفاس تكون نهاية العمر، ويكون الانتقال من دار العمل بلا حساب إلى دار الحساب حيث لا عمل.

وممّا لا شكّ فيه أنّه ليس من الحكمة بمكان ترك هذا العمر يتفلّت من بين أيدينا بدون استثماره بأفضل أوجه الإستثمار لنكون من المفلحين، والذي لا شكّ فيه أيضاً أنّ من وجوه ضياع العمر عدم استغلال أوقات الفراغ وتركها تذهب بلا فائدة وتتلف بلا نتيجة.

الفراغ المدمّر:

فضلاً عن أنّنا كمؤمنين لدينا إيمان بجدّيّة هذه الحياة التي نعيشها، وما يترتّب عليها حيث سنلقى بعدها الله تعالى لنرى حصيلة وجودنا وعملنا في دار الدنيا حيث ربّما يكون مصير البعض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[1].

فمن أهمّ أخطار الفراغ أنّه يؤدّي إلى أمور منها:

١ - الفراغ يفقد الإحساس بقيمة الوقت:

حيث نتيجة تعوّده على مرور الوقت بلا ثمرة ولا عمل، وإهداره بما يفيد ولا يفيد يصبح خارج دائرة الفعل بالوقت وإنّما

(١) سورة النبأ، الآية ٤٠.

في دائرة المنفعل، وفي أحيان كثيرة يصبح على هامش الحياة.

فليس الفارغ هو القائد لحياته بل هو منقاد للظروف ليس إلّا.

٢ - الفارغ لا يحسن ترتيب أولويّاته:

فالفارغ يعيش همّ كيفيّة قضاء الوقت، أو ما يسمّيه كثيرون قتل الوقت، ولذا فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يلفتنا إلى ضرورة الاختيار في قضاء الوقت، بل أكثر ضرورة تقديم الأولى والأفضل على غيره فيقول عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: **«اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيّامي في ما خلقتني له»**[1].

٣ - الفراغ منبت الأمراض والانحراف:

فهو يجعل الإنسان ذا اهتمامات حقيرة، وغالباً ما يترافق الفراغ مع استحضار حوادث العمر الماضية ما يفرح منها وما يحزن، ومعها تحضر الانفعالات وهذا ما يؤدّي إلى حالات اكتئاب وغيرها من أمراض النّفوس فضلاً عن الشعور بالملل والسأم.

ومن جهة أخرى فإنّ ما يعزّز الوقوع في الأمراض النفسيّة، هو انخفاض تقدير الإنسان لنفسه عند نفسه، إذ يشعره الفراغ بعدم قيمته اجتماعيّاً وأنّه غير نافع، ويصبح حائراً يفقد الهدفيّة ويفقد معنى حياته، وهذا ما يدفع البعض ليسقطوا ضحايا الإدمان على المسكرات والمخدّرات يطلبون بها الهرب من واقعهم.

(١) الصحيفة السجّاديّة، الدعاء ٢٠.

كيف نعالج مشكلة الفراغ؟

١ – معرفة قيمة العمر، ومعرفة أخطار ومشاكل وتبعات الفراغ دنيويّاً وأخرويّاً.

٢ – السعي إلى ملء الوقت بأمور جادّة ونافعة منها:

١ – المواظبة على تلاوة القرآن الكريم والتعرّف على معانيه ومضامينه، ومن ذلك إعطاء وقت للاستماع لتلاوته ومن الأصوات الجميلة بما يساعدنا على الخشوع وتدبّر الآيات.

وقد جاء عن الإمام عليّ عليه السلام في القرآن قوله: **«ما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى...»**[١].

٢ – ملء الوقت بالعلم النافع، ومراودة أماكن تحصيل العلم ومجالس العلماء، وكذلك بناء العلاقة الحسنة مع القراءة من خلال الاعتياد على قراءة الكتب المفيدة ومطالعة المجلّات والصحف العلميّة وكذلك الإسلاميّة.

٣ – معاشرة الصالحين واتخاذهم أصدقاء: عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: **« قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث، ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام مثل أخ يستفيده في الله»**[٢].

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص٩١.

(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٧.

٤ – تعزيز الجدّيّة في ممارسة الحياة من خلال التخطيط الجدّي لها والالتزام بالبرامج التي يتبنّاها الإنسان على أن لا تكون مخالفة للدّين وللشرع الحنيف وذلك باعتماد محاسبة النّفس وعدم إهمالها لأنّه من حاسب نفسه غنم.

خاتمة:

من مظاهر الفراغ المنتشرة في مجتمعاتنا مظهران: الأوّل هذا الإقبال على اقتناء الهواتف الذكيّة والعكوف عليها ساعات وساعات، والثاني انتشار عادة تدخين النرجيلة وعقد المجالس والسهرات على شرفها. بل إنّ البعض يكاد يمضي نصف نهاره متقلّباً بين نَفَس وآخر، بما يقلّل من القدرة الانتاجيّة وانتشار الكسل والكسالى، أو ما يسمّى بالعاميّة التنابل.

يا عبد الله ٩ الليلة الرابعة

يا عبد الله

المحاضرة الأولى

نصرة أولياء اللّه

الهدف:

بيـان معنى نصـرة الله ونصـرة أولياء الله كيفيّـة نصرة أهل البيـت عليهم السلام مع التنويه بنصرة أنصار الحسين عليه السلام له.

تصدير الموضوع

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[1].

(١) سورة الصفّ، الآية ١٤.

مقدّمة: النصرة مختبر الولاء

من مفردات الولاء لأهل بيت النبوّة صلوات الله وسلامه عليهم وترشّحاته المودّة لهم ونصرتهم، هذه النصرة التي يثبت فيها الموالي صدق ولائه وانتمائه للخطّ النبويّ، والنصرة كذلك امتحان عمليّ لمدى المودّة والمحبّة، فضلاً عن كونها إجابة وتلبية لنداء أهل البيت عليهم السلام وعملاً بما جاء في دعاء النبيّ للإمام عليّ عليه السلام يوم الغدير إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللهمّ انصر من نصره واخذل من خذله»**[1].

والذي فيه حثّ بطريقة غير مباشرة على النصرة وتحذير من الخذلان لهم عليهم السلام.

فضلاً عن النداء المجلجل في نفوس وقلوب وعقول شيعة آل البيت، ذلك النداء الذي حمله الزمان وردّدته الأيّام يطويها ليصل إلى مسامع القلوب كأنّه نفخة الإحياء تبعث الحياة في كلّ أبيٍّ موالٍ لأهل البيت عليهم السلام، النداء هو نداء شهيد الطفوف الإمام الحسين عليه السلام: **«هل من ناصر ينصرني؟»**.

ولقد لبّت نداء الاستنصار هذا نفوس ولا تزال في كلّ ميادين الجهاد والشهادة. ميادين العزّة والحرّيّة والإباء.

(١) أمالي الصدوق، ص٤٢٨.

محاور الموضوع

معنى النصرة

بالعود إلى اللغة والفهم العرفيّ لكلمة النصرة ومشتقّاتها، نجد لها معنى لا يكاد يختلف عليه اثنان، فمعنى النصرة هو الإعانة على الشيء ويقابله الخذلان. وقد تكون النصرة والإعانة باللسان وقد تكون بالمال، وقد تكون باليد والنّفس بحسب طبيعة القضايا ودرجة حساسيّتها وخطورتها.

موارد النصرة:

للنصرة موارد عديدة تتّسع لتشمل شتّى وجوه الحياة وأنحائها، فقد تشمل أموراً ذات لون ثقافيّ، وأخرى عقائديّ وفكريّ وثالثة اجتماعيّ واقتصاديّ، وأخرى سياسيّ، وأحياناً إنسانيّ وغير ذلك.

ومن الموارد لا على نحو الحصر نتكلّم عن بعضها والتي منها:

١ - نصرة الدّين:

والتي تعني حمل قضيّة الدّين بكافّة أبعاده بتقوية الانتماء إليه وحمل فكره ومفاهيمه وقيمه والأخلاق التي يدعو إليها والإعانة على نشرها ونشر الدّين بكلّ أبعاده والدفاع عن الدّين بما يتاح من مال ونفس وأولاد، لأنّ الدّين له الأولويّة على كلّ الأمور الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[1] والنصرة تكون كذلك بتجسيد النموذج الراقي للمنتسبين إليه من خلال الانقياد لتعاليمه وهذا ما تشير إليه الآية القائلة: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

ومقام نصرة الدّين مقام شريف لذلك وُصف أئمّة الهدى في الزيارة الجامعة بأنّهم **«أنصاراً لدينه»** ولذا علّمنا أئمّتنا أن ندعو في خير الشهور شهر رمضان في أحد أدعيته الشريفة بالقول في دعاء كلّ ليلة من لياليه: **«اللهمّ اجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري»**.

٢ – نصرة وليّ الله:

وهي من لوازم نصرة الله، بل إنّ نصرة الله، التي مصداقها نصرة دينه فكذلك مصداقها وأبرز تجلّياتها نصرة ولي الله ويأتي في رأس أولياء الله النبيّ محمّد ﷺ وقد أمر تعالى بذلك في قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3] فقد حثّ المولى على الإيمان بالنبيّ محمّد ﷺ ونبوّته وتعزيره أي تعظيمه ونصرته اتّباع

(١) سورة الصفّ، الآية ١٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

الدّين والكتاب الذي جاء به وفي موضع آخر عبّر القرآن الكريم عن أنّ نصرة وليّ الله هي نصرة لله حيث ينقل عن عيسى عليه السلام قوله للحواريّين: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ليأتي الجواب من الحواريين: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[1].

نصرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام:

ويأتي في جملة نصرة الله ونصرة رسوله، نصرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولذا كان من علامات وصفات الشيعة أنّهم ناصرون لأهل البيت عليهم السلام فعن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنّ الله تبارك وتعالى اطلع على أهل الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا»**[2].

وهذه جائزة أعظم جائزة لناصر أئمّة الهدى أن يكون منهم وإليهم.

كيف ننصر أهل البيت عليهم السلام؟

لنصرة أهل البيت عليهم السلام مراتب ودرجات، منها:

١ - الجهاد بالنّفس:

دفاعاً عنهم وعن الولاء لهم وقد جسد أرقى درجاته شهداء

(١) سورة آل عمران، الآية:٥٢.

(٢) الخصال، ص٦٣٥.

الطفّ من أنصار الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقد يكون ثمن الجهاد بالنّفس أقلّ من القتل، كالأسر والسجن وغير ذلك ولولا تضحيات شيعة أهل البيت عليهم السلام لما بقي تشيّع ولا شيعة وعن ذلك ينقل عن صادق أهل البيت عليه السلام قوله: **«شيعتنا والله لا يزالون منذ قبض الله رسوله ينصروننا ويقاتلون دوننا، ويُحرَّقون، ويُعذَّبون، ويشرَّدون من البلدان جزاهم الله عنّا خيراً»**[1].

٢ - النصرة باللّسان:

ومنها إنشاد الشعر ونشر فضلهم والمحاججة فيهم.

٣ - النصرة بالمال:

وقد نقلنا الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام في وصفه لمن اختارهم الله شيعة لآل البيت أنّ من صفاتهم **«ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا»**[2].

ولقد كان بذل المال في حبّ آل البيت عليهم السلام من أهمّ الأمور التي شيّدت صروحه ونشرت علومه وحفظت المنتمين إليه. وما هذه المجالس إلّا شاهد على ذلك.

٤ - النصرة بالقلب:

عندما لا يقدر الإنسان بسبب الضعف عن نصرة أهل البيت عليهم السلام تأتي النوبة لنصرتهم بالقلب، فعن الإمام

(١) تفسير البرهان، ج٥، ص٣٥٩.
(٢) الخصال، ص ٦٣٥.

العسكريّ عليه السلام جواباً لمن قال له: إنّي عاجز عن نصرتكم بيدي، أنّه قال عليه السلام: **«حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت عليهم السلام، ولعن في خلواته أعداءنا، بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة...»** إلى أن تقول الرواية: **«... فإذا بالنداء من الله تعالى يقول: يا ملائكتي، إنّي أجبت دعاءكم في عبدي هذا، وسمعت نداءكم، وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار»**[1].

وقد يكون السبب غير الضعف كحيلولة الحوادث والزمان فلا أقلّ من توطين النفس على النصرة، فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمّد نصرته كالمقارع معه بسيفه والشهيد معه له شهادتان»**[2].

خاتمة:

لقد قدّم أنصار الإمام الحسين عليه السلام نماذج راقية وقدوات رائعة في كيفيّة نصرة ولي الله، وكذلك أهل بيته عليهم السلام ومنهم الإمام السجّاد الذي سمع نداء أبيه بعد مصرع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام: **«أما من ناصر ينصرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟ أما من ذابٍّ يذبُّ عنّا؟»** قام الإمام زين العابدين عليه السلام وهو مريض ملبّياً نداء النصرة، إلّا أنّ أباه ردّه إلى الخيمة، وجاءت نصرة

(١) مكيال المكارم، ج٢، ص٦٢.
(٢) فروع الكافي، ج٨، ص٨١.

زينب في كلّ مراحل الثورة، وفي آخر لحظاتها عندما قدّمت الجواد لأخيها.

وقد علّمنا أئمّتنا أن نلبّي نداء الحسين عليه السلام في الدعاء والزيارات بالقول: **«يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً»**.

المحاضرة الثانية

لا لثقافة سوء الظنّ

الهدف:

بيـان مبغوضيّة سوء الظـنّ وآثاره وكيفيّة علاجه والحثّ على مواجهة ثقافة سوء الظنّ.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

تقديم: دع أكثر الظنّ

من الآفات المنتشرة بين النّاس ضعف ثقة بعضهم بالبعض الآخر، ولعلّ ذلك لكثرة ما يرونه من خيانة بعضهم للبعض الآخر وعدم رعاية حقوق الصداقة والقرابة والجوار والزمالة وحتّى الإيمان، وهذا كلّه أوجد ويوجد حالة من حاكميّة سوء الظنّ على مشاعر النّاس؛ فنرى بعضنا يتوجّس من أي جديد قادم إلى حياته بعنوان من العناوين ويعامله بحذر شديد، وإذا صدر فعل أو قول عن صديق أو أخ أو جار أو غير هؤلاء يظلّ بقلبه في وجوه السوء قبل أن يسفر الفاعل والقائل عن حقيقة مراده من القول والفعل.

فيما نجد أنّ القرآن الكريم أمرنا بأن نتجنّب كثير الظنّ السيّئ لأنّ بعضه إثم.

حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

فكأنّ الله تعالى أمرنا باجتناب أكثر الظنّ والمقصود به هو السيّئ حتّى لا نقع فريسة بعض أفراده المخالفة للواقع والموجبة للمفسدة. ولو كان قليلاً لا يقوم به أكثره ولو كان مصيباً.

هذا مضافاً إلى ما جاء في الروايات من النهي عن إساءة الظنّ بالمؤمنين، وأنّ الله نهى عن أن يساء الظنّ بالمؤمن وأنّه من

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

حرمات المؤمن، وفي ما رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«إيّاكم وسوء الظنّ، فإنّه أكذب الكذب، وكونوا إخواناً في الله كما أمركم، لا تتنافروا ولا تتجسّسوا ولا تتفاحشوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، ولا تتنازعوا ولا تتباغضوا ولا تتدابروا ولا تتحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب اليابس»**[1].

محاور الموضوع

لماذا النهي عن سوء الظنّ؟

الرواية الآنفة تدلّ على أنّه من حِكَم النهي عن سوء الظنّ أنّه مفسد للعلاقات بين المؤمنين، إذ إنّه يؤدّي إلى فسادها وتلويثها، ويؤدّي إلى التباعد والتباغض والتنافر، فيما المطلوب هو التكافل والتضامن والوحدة، بل المطلوب أن نكون أخوة في الله، ولأنّ الآية الناهية عن سوء الظنّ أشارت إلى أنّ سوء الظنّ ربّما يستدرج الإنسان إلى محرّمات أخرى كالتجسّس فالذي يسيء الظنّ قد يحاول التحقّق منه فيلجأ إلى التجسّس للتأكّد من صدق ظنّه أو كذبه، وبسبب التجسّس قد يطّلع على بعض عيوب المظنون به السوء فيتحدّث بها فتكون غيبة، ولذا قال في تتمّة النهي عن سوء الظنّ:

(١) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٥٩.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1].

فكأنّ سوء الظنّ يجعل الإنسان مهيّئاً ومستعدّاً نفسيّاً لمحرّمات أخرى كالتجسّس والغيبة وتتبّع العثرات وقبول الغيبة وعدم التنفّر منها، بل قد تتدحرج الأمور إلى السخريّة والتحقير والإهانة، وربّما وصل الأمر إلى هجران المظنون به السوء ومقاطعته، وكذلك إلى ضعف الاستعداد والحماسة لإعانته ومساعدته.

كيف نعالج سوء الظنّ؟

هناك مرتبتان لعلاج سوء الظنّ الأولى: عند الظانّ، والثانية: عند المظنون به.

أمّا على صعيد الظانّ السوءَ بأخيه فالعلاج يكون بما يلي:

١ – إدامة حسن الظنّ بالمؤمن وعدم الذهاب إلى سوء الظنّ به، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنّن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»**[2].

ففي ذلك تنزيه لباطن الإنسان المؤمن من أهمّ ملوّثاته وهو سوء الظنّ، وثانياً بحسن الظنّ يمكن تقديم سلوك الإخوان، لأنّ هذا يدفعهم ليكونوا عند حسن الظنّ بهم، فحسن الظنّ إحدى وسائل التأديب الناجحة.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٦١.

فضلاً عن أنّ سوء الظنّ هو من مصاديق الظلم إن خالف الواقع وبه تقع في الحرام وأمّا حسن الظن بالمؤمن حتّى وإن خالف الواقع فلن يترتّب عليه آثار محرّمة.

قد يعتبر بعضهم أنّ حسن الظنّ نوع من السذاجة ولكنّ الحقّ أنّه لا يعني ذلك، وحاشا للنبيّ ولآل بيته عليهم السلام أن يأمرونا بالسذاجة، إذ المقصود بحسن الظنّ هو الالتزام عمليّاً بالحسن في المؤمن في قوله وفعله وعدم جعل احتمال السوء يغلب على المؤمن في مقام معاملته، بمعنى أن نستمرّ بحسن معاملته ولا نكفّ عن ذلك إلّا عندما يأتي الدليل القطعيّ.

٢ – ترك مولّدات سوء الظنّ: التي منها صحبة الأشرار، والتعوّد على اقتراف السوء، فالذي يسوء فعله يسوء ظنّه.

٣ – التروّي وعدم الإسراع إلى إصدار الأحكام بالبناء على ظواهر الأمور.

٤ – ضرورة العمل الجماعيّ على مواجهة ثقافة سوء الظنّ الذي تنمّيه البرامج التلفزيونيّة ذات الطبيعة الفضائحيّة.

٥ – اجتناب مواطن التّهم: وأمّا علاجه من المظنون به أو من كلّ إنسان فهو يُختصر بأمر واحد وهو تجنّب ما يثير سوء الظنّ والمعبّر عنه في الروايات بمواطن التّهم أو مواقع الرّيب، بمعنى أن يحتاط المؤمن في سلوكه فلا يفعل فعلاً أو يتواجد في أماكن تثير الشبهات حوله وحول دينه وسلوكه فقد

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«من عرّض نفسه للتّهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به»**[1].

ولننتبه إلى أنّ الإمام عليه السلام لا يريد بذلك أن يقول: إنّه تجوز إساءة الظنّ بمن عرّض نفسه للتّهمة، بل المراد والله العالم أنّ على المؤمن أن ينأى بنفسه عن كلّ ما يوجب إساءة الظنّ به.

خاتمة:

علينا أن نلتفت إلى الأثر السيّئ الناتج من ترويج ثقافة سوء الظنّ والمساعدة على ترويجها من خلال تناقل أخبار الفضائح عبر وسائل الاتصال وتعميمها على النّاس، لأنّنا بذلك سنكون مصداقاً لمن يعمّم ثقافة سوء الظنّ، بل سنكون كذلك مصداقاً لمن يحبّون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

نعوذ بالله تعالى من ذلك.

(١) الكافي، ج٨، ص١٥٢.

يا عبد الله

المحاضرة الثالثة

الخمر والمخدرات فساد

الهدف:

بيان معنى الفساد وآثاره ومجالاته، والتركيز على الخمر والمخدّرات، وبيان حرمتها، وآثارها، والتحذير منها ومن ترويجها.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

مقدّمة: الفساد والاستقامة:

قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾[1] إنّ هذه الآية تلفتنا معاشر النّاس إلى خطورة الخروج عن الحدود الشرعيّة في أعمالنا ولا سيّما في تعاطينا مع الثروات التي أعطانا الله إيّاها بل التي سخّرها لنا – إذ تقول بلسان فصيح صريح إنّ مجاوزة الحدود التي رسمها لها الله تعالى وعدم الاعتدال تارة بالإفراط وأخرى بالتفريط يؤدّي إلى تسرّب الخلل إلى الأمور التكوينيّة حيث قال بعض المفسّرين إنّ معنى الفساد المذكور في الآية هو الجدب في البرّ والقحط في البحر[2].

وفي المقابل وبطريقة عكسيّة إذا استقام النّاس على المنهج الإلهيّ في حياتهم ولم يتجاوزوا حدود الله تعالى لاستقامت الأمور التكوينيّة بل لزادت بركتها وهذا بارز جليّ في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[3] فالمطلوب من الإنسان الذي كرّمه الله تعالى وجعل له الخلافة على الأرض ونعمها، أن يحسن استثمار هذه النعم ويقدّرها، أي عليه عمارة الأرض كما صرّح بذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[4].

(١) سورة الروم، الآية ٤١.
(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج٥، ص١٦٤ – ١٦٥.
(٣) سورة الجنّ، الآية: ١٦.
(٤) سورة هود، الآية ٦١.

وبعبارة أوضح إنّ كلّ النّعم المسخّرة للإنسان والموضوعة تحت سلطان قدرته هي أمانات عليه أوّلاً أن يقدِّرها، ويعرف قيمتها والحكمة منها، وأن يضعها موضعها ويحسن الصحبة لها بالتأدّب بالآداب الإلهيّة في العلاقة بها.

محاور الموضوع

مجالات وميادين الإفساد:

إنّ الميادين والمجالات التي يمكن أن يفسد فيها الإنسان كثيرة ومتنوّعة بتنوّع جهات الإنسان وعلاقاته، فثمّة فساد في الأبعاد التكوينيّة يتّصل بسوء العلاقة بالثروات الطبيعيّة، من ماء وهواء وشجر وحيوانات وغير ذلك، ومنها ما له علاقة بعلاقات الإنسان ببني جنسه، فقد يعتدي على أجسادهم فيقتل أو يجرح أو يصادر الحرّيّات أو يعذّب كما كان قد صدر عن فرعون وهذا ما جاء به التنزيل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

وقد يكون بحرف النّفس والآخرين عن الحقّ في المعتقد والفكر وغيرهما كالكفر ومواجهة الهداة ومنع النّاس من

(١) سورة القصص، الآية ٤.

الاهتداء بهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[1]

ومن النماذج الأخطر في الإفساد المنافقون الذين أنبأ عنهم الكتاب الكريم قائلاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2].

ومن وجوه الإفساد وألوانه الفساد الاقتصاديّ كالتلاعب بالموازين والغشّ وقد قال تعالى في ذلك على لسان النبيّ شعيب: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3]

ومنه الاحتكار.

ومنها الفساد الأخلاقيّ كالزنا واللواط والغيبة والنميمة والبهتان وإشاعة الفاحشة ومن الفساد الفساد الاجتماعيّ والقضائيّ والأمنيّ وغير ذلك كثير.

آفّة العصر المسكرات والمخدّرات

وهي من بلاءات الأجيال هذه الأيّام ومن شرّ المفسدات التي أمر الحقّ تعالى بعدم مقاربتها سواء في تعاطيها أو في ترويجها، فالمسكر والمخدّر هو كلّ مادّة تؤثّر في الإنسان من خلال تخدير

(١) سورة النحل، الآية ٨٨.
(٢) سورة البقرة، الآيتان ١١ - ١٢.
(٣) سورة هود، الآية ٨٥.

العقل وتؤثّر في الجهاز العصبيّ بدرجة تضعف وظيفته أو تجعل الإنسان يفقدها ولو لمدّة مؤقّتة.

وقد أجمع الفقهاء على تحريم الخمر والمخدّرات قولاً واحداً، ومن نماذج فتاواهم ما جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت، يحرم تعاطي كلّ ما يضرّ بالبدن والعقل حرمة شديدة كالأفيون والحشيش والكوكايين وجميع أنواع المخدّرات الضارّة والسموم[1].

وفي هذا الزمان يبتكرون أصنافاً جديدة ويسمّونها بأسماء لم تكن معروفة، فكلّ ما يكون له نفس تأثير المسكر والمخدّر له نفس حكمه وإن أعطي تسميات أخرى.

لماذا حرمة المسكر والمخدّر؟

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

فقد أمر الله تعالى ليس فقط بعدم تناول المسكر وإنّما أمر بالاجتناب، وهو أبلغ في التحريم، وذلك لجملة من الحكم هدفها حماية الإنسان منها، وقد نسبت الآية هذا العمل إلى الشيطان ووصفته بأنّه رجس وقد عرف بنو آدم عداوة الشيطان لهم وكيده ومكره بهم.

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام، محمّد الغروي، ص١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٠.

ولأنّ آثار المسكر كثيرة وهي باب للكثير من الشرور جاء عن رسول الله ﷺ: **«الخمر جماع الإثم، وأمّ الخبائث، ومفتاح الشرّ»**[1].

ويمكن لنا أن نعدّ من أضرار الخمر ما يلي:

١ – على الصعيد الدينيّ: الخمر تصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة بالخصوص.

٢ – تجاوز حدود الله: حيث تعبث بعقل الإنسان فيصبح جاهزاً لارتكاب أيّ محرّم حيث لا يقدّر عواقب كلامه ولا أفعاله، فيقذف المحصنات، ويتلفّظ بأفحش العبارات، ويتجاوز على المقدّسات حتّى الذّات المقدّسة لله تعالى ولأنبيائه وأوليائه.

٣ – يسيء معاملة النّاس ويلجأ إلى العنف بسرعة، وأكثر من يتأذّى بذلك أسرته والأقربون منه ممّا يفقده أوّلاً الهيبة والاحترام، ويؤدّي ثانياً إلى أن تسود أجواء التوتّر والشقاق والخلافات داخل الأسرة، وهذا يوصل إلى تفكّكها.

٤ – يفقد الإنسان اتّزانه وتقديره لنفسه ويصبح دنيئاً مهاناً ويؤدّي إلى حقارة النّفس.

٥ – من يدمن الخمر والمخدّر تسقط عنده الحرمات فيعقّ الوالدين ويفقد الحسّ بالغيرة على حريمه بل ربّما عندما تعوزه الأمور لا يتوانى عن بيع عرضه للحصول على جرعة مخدّر أو كأس من خمر، فعن الرسول الأكرم ﷺ: **«من**

(١) بحار الأنوار، ج٧٦، ص١٤٦.

شرب الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب، ولا يشفّع إذا شفع، ولا يصدّق إذا حدّث ولا يؤتمن على أمانة»[1].

٦ - وللخمر والمخدّرات أضرار صحيّة من الإصابة بالأمراض الخطيرة، وبما يؤدّي إلى تشوّه المواليد.

٧ - ولهما كذلك أضرار اقتصاديّة إذ تنتشر جرائم السرقة وتضعف من القدرة الإنتاجيّة للمدمنين، وأيضاً فإنّها سبب في ذهاب بركة الأموال وتعريض النعم للزوال.

خاتمة:

إنّ على المجتمع مواجهة هذه الآفّة يحسن تربية الأبناء والسهر على حمايتهم منها وتحذيرهم من المخدّرات والخمر، ومن صحبة السوء.

ولا بدّ من الإشارة أخيراً إلى أنّ المشكلة العظمى هي في من يروّج أمثال هذه السموم القاتلة للأفراد وللمجتمعات، فالبعض ليبني ثروة وبسرعة يعمد إلى مثل هذه التجارة فيسمم مجتمعاً بأكمله ليجمع ثروة ويتنعّم بها في الدنيا، وليعلم هؤلاء أنّ أموالهم كلّها سحت أي حرام وعلى المجتمع كما علّمنا رسول الله أن يقاطع هؤلاء المروّجين، ويسقطهم اجتماعيّاً ولو ملكوا الدّنيا، وهذا أقلّ الإيمان.

(١) فروع الكافي، ج٦، ص٣٩٦.

الليلة الخامسة

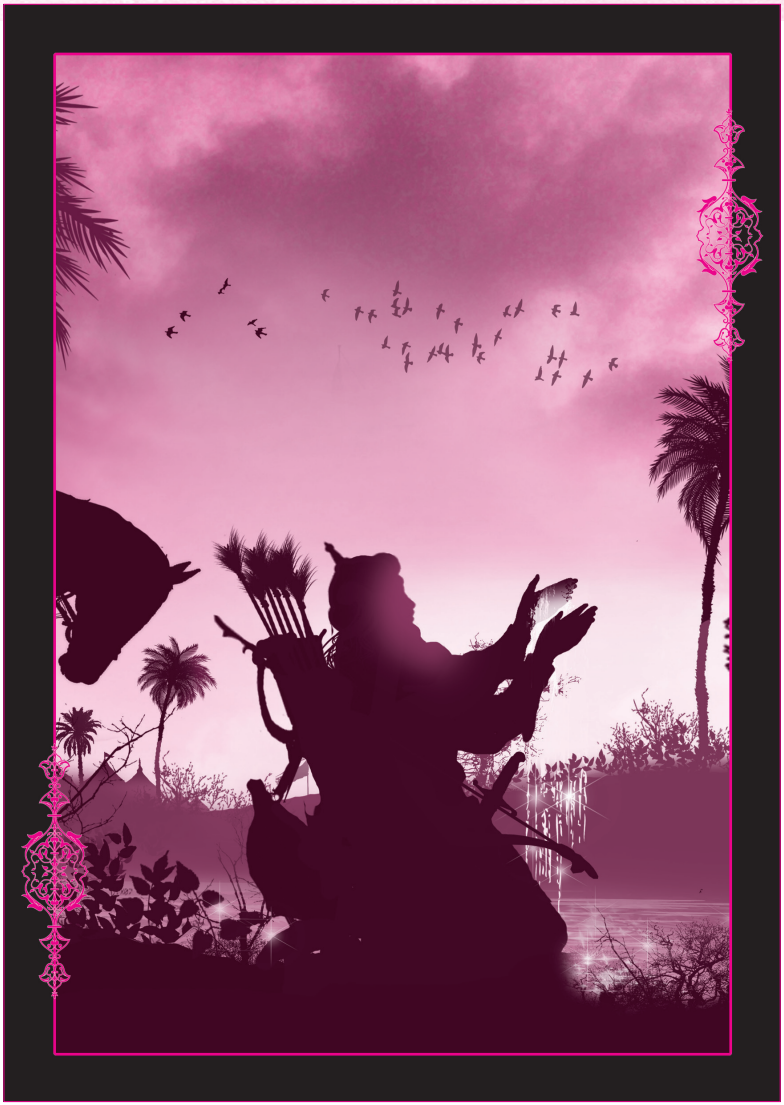

المحاضرة الأولى

لا تركنوا إلى ظالم

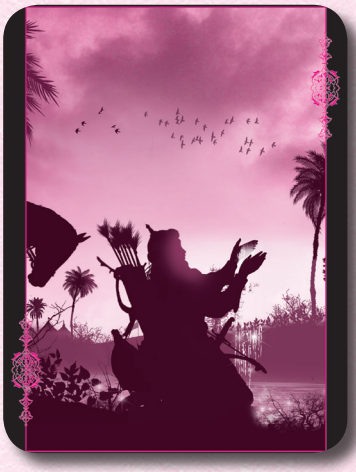

الهدف:

بيان معنى الركون للظالمين وأسباب تحريمه وعاقبته.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

(١) سورة هود، الآية ١١٣

مقدّمة:

إنّما يتمّ امتحان النّفوس لتتمايز الحرّة منها والأبيّة من الخانعة والخاضعة عندما ينتشر الظلم ويعمّ الفساد ويتجبّر الحكّام ويشتدّ طغيانهم، فحينها نجد أقواماً يتلاشون ويذوبون في آلة الظلم أعواناً وأدوات ونجد آخرين ينزحون من طريق الظالم فلا يعود أمامه معوّقات، فيما نجد آخرين يثبتون على المبادئ غير عابئين بالضّرر والأذى والمعاناة التي تلحق بهم، ويحتسبون كلّ ذلك عند الله متمثلين قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

محاور الموضوع

حرمة الركون إلى الظالمين:

ثمّة آية معروفة في كتاب الله تتحدّث عن صفة من صفات أهل الإيمان وخلّة من خللهم والتي تشكّل علامة فارقة لهم عن غيرهم، ألا وهي الثبات على الحقّ وعدم ممالأة الظالم أو الركون إليه، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٢.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1].

يرى أهل التفسير أنّ المراد بالركون هو السكون إلى الشيء... والذي منه الرضا بما عليه الظلمة من ظلم واضطهاد، وربّما تشير إلى أنّ هؤلاء ربّما يقومون بتزيين عمل الظالمين وتسويغ مواقفهم وترويج سياساتهم، وأيضاً يشاركون الظالمين في إدارة رحى ظلمهم على النّاس؛ وربّما يراد كذلك أنّ هؤلاء يقومون بمداهنة الظالمين قولاً وفعلاً فلا ينكرون عليهم ظلمهم ليصبحوا عمليّاً من المشاركين في ظلمهم إذا ما تحقّق فهم الرضا بفعل الظالمين.

فالآية آتية للتحذير من ذلك كلّه، بل جاءت لتحرّم أدنى أنواع الميل للظالمين ولو كان بالشيء القليل اليسير فالإسلام يريد أن يحمل المسلم والمؤمن في شخصيّته روح الإباء للظلم والرفض للطغيان. فالمطلوب دائماً من المؤمنين الوقوف مع المظلوم بوجه الظالم دفاعاً عن حقوقه، والمطلوب مقاومة الظالم والإنكار عليه والثورة على ظلمه لا الموافقة له وتكثير الجمع حوله وإضعاف حالات المعارضة له من خلال خذلان الحقّ والتخذيل عنه.

لماذا يحرم الركون للظالم:

إنّ للركون للظالم مفاسد كثيرة غير خافية على ذي لبّ، فهي تؤدّي إلى انقلاب المفاهيم والقيم بحيث يصبح القبيح جميلاً

(١) سورة هود، الآية ١١٣

والجميل قبيحاً، وكذلك تغري الظالم بالمزيد من الظلم وتيسّر له اندفاعته في هتك الحرمات ودوس الكرامات فالإقرار للظالم بشرعيّة ظلمه وبحقّه في الحكم يغريه بالزيادة؛ إضافة إلى إشاعة حالات الجبن والقعود والتخاذل، فضلاً عن إيجاب سوء ظنّ النّاس بالدّين وبمبادئه وقيمه، ولعلّه لذلك جاءت عبارات الإمام الحسين عليه السلام: «**... ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[1] ولذا كان بنظر الحسين عليه السلام النهوض بوجه الظالم جهاداً ولو أدّى إلى الشهادة.

عاقبة الركون للظالمين:

لأنّ الركون للظالمين على هذا المستوى من الخطر الذي يؤدّي إلى المسخ الثقافيّ والقيميّ لمجتمع المؤمنين ولأفراد هذا المجتمع فضلاً عن كونه مخالفة صريحة لما جاء من نهي الله عنه، فإنّ ما رتبه الله المتعالي على ارتكانه هو العذاب والعذاب في النّار بقوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

حيث إنّ المرتكب لهذا الأمر قد خالف صريح أوامر الله ونواهيه، فبدل محاربة الظالم ونصرة المظلوم، تراه شارك في ظلم الظالم وأعانه على ظلمه.

وربّما أشار بعض المفسّرين إلى أنّه من عواقب الركون إلى

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٢٥.

الظالمين، أنّ من يركن إليهم قد لا يسلم من ظلمهم وسياط بطشهم، فما المانع حينها أن يتعدّى الظالم بظلمه إلى من ركنوا إليه واستقووا به وزيّنوا له ظلمه وأغرَوه بالمزيد، وخذلوا النّاس عن الوثوب للثورة عليه؟

فنار ظلم الظالم إذا ما اشتدّ أوارها لا يُضمن ألّا تتعدّى إلى جوارها وأوائل المحترقين بنيران الظالمين أولئك المزينين للظالم ظلمه المروّجين لسياساته والضاربين ظهور المستضعفين بسياط جبروته. بل إنّ مجرّد الرضا بفعل الظالم تجعلنا شركاء في ظلمه وبالتالي شركاء في عقوبته.

خاتمة:

كما جاء في الحديث الشريف: **«الراضي بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم»**[1].

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام نموذج التعاطي مع الحاكم الظالم ونموذج التعاطي مع استغاثات المظلومين، فأجاب أهل العراق وبالخصوص أهل الكوفة الذين استنصروه على طاغية عصرهم، فحمل أهله وخيرة أصحابه وهب مجيباً استغاثاتهم عازماً على العمل على النهوض ليغير على الحاكم الظالم حتّى لا يكون من الداخلين.

(١) نهج البلاغة، الموعظة رقم ١٥٤.

مداخل الظالمين:

كما جاء في الرواية عن الإمام الحسين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من رأى سلطانا جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله»[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٨٢.

المحاضرة الثانية

أكل الحرام

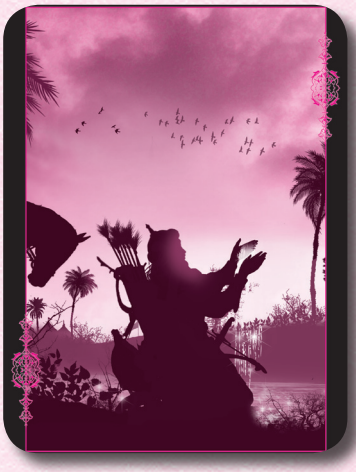

الهدف:

بيـان آثار أكل الحرام والحثّ على ضرورة اجتنابه.

تصدير الموضوع

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«بئس الطعام الحرام»**[1].

(١) نهج البلاغة الوصيّة رقم ٣١، من وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام.

مقدّمة:

إنّ المراقب لتصرّفات النّاس وأساليب حياتهم يستطيع ببساطة أن يلحظ تلك الغفلة التي يغرق فيها أغلبهم عن حقيقة عظيمة من حقائق وجودهم، وهي تكوّنهم من روح ونفس إضافة إلى الجسد؛ فتراهم يستغرقون في البعد الماديّ لوجودهم ألا وهو الجسد فيحرصون عليه، وهو الفاني، فيما يلقون أرواحهم خلف جدران سميكة من الإهمال والنسيان كإخوة يوسف ألقوا ذلك البعد الملكوتيّ في غيابة جبّ الجسد والمادّة.

فكم يعمدون، كما في هذه الأيّام، إلى نيل شهوات ولذائذ جسديّة حيوانيّة ويعملون على حماية الجسد وحفظه وتجميله فيلجأون إلى الأطبّاء لمجرّد الشكّ في طروء المرض أو الضعف على أجسادهم، وبالخلاصة فغالب أناس هذا الزمن يبتعدون غالباً عن كلّ ما يحتمل أن يؤذي الجسد أو يضرّ بنظافته أو جماله ويمارسون لأجل ذلك أنواعاً مرهقة ومجهدة من الحمية والتمارين الرياضيّة إضافة إلى بذل الأثمان الباهظة لقاء الحصول على مساحيق التجميل.

لكن هل فكّرنا يوماً بما يشوّه جمال أرواحنا، ويضعف النفوس، ويمرضها؟! هل سألنا ما هي الأمور التي إن تعاطيناها أدّت إلى مرض النّفوس والقلوب ولوّثتها؟

نعم هناك أمور كثيرة تسقم القلوب، وتمرض النّفوس وتلوّثها وتضعفها، ومن أهمّ ذلك أكل المال الحرام.

محاور الموضوع

تأثير أكل الحرام:

قبل الكلام في تأثير أكل المال الحرام على الروح والنفس، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ أكل الحرام يشمل كلّ طعام حرّم الله تعالى علينا أن ندخله إلى بطوننا، فتارة يكون بنفسه محرّماً كالميتة والخنزير والشراب المسكر كالخمر وغيرها، وأخرى لعروض أمر على ما هو حلال بأصله لكن بسبب اتّصافه بوصف ما كالمتنجس قبل تطهيره، أو تحصيله بطريقة غير شرعيّة حيث يتّصف بكونه مغصوباً، ليصدق عليه عنوان أكل مال النّاس بغير حقّ.

وأمّا عن تأثيره في الإنسان فقد جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: «**بئس الطعام الحرام**» فمن آثار أكل الحرام:

١ - مرض القلوب وقسوتها:

ومنه نستفيد أنّ أسوأ ما يمكن أن يأكله الإنسان هو الحرام من الطعام، ويمكن لنا القول: إنّه كما يؤثّر في الجسد أكل الطعام الفاسد فيؤدّي إلى التسمّم وأعراضه من ارتفاع الحرارة والغثيان، كذلك أكل الحرام يؤثّر في النّفس والروح والقلب فيؤدّي إلى

مرض القلب وتراكم الرّين عليه بما يضعف بصيرته لكونه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وقد يؤدّي إلى قساوة القلب فلا يعود الإنسان صاحب القلب القاسي يتأثّر بالموعظة والهداية ويفقد صفة الرحمة خصوصاً مع إدمان أكل الحرام.

٢ - إصابة الذرّيّة:

بل إنّ مؤثّريّة أكل المال الحرام لا تقتصر على الشخص الآكل للحرام بل تمتدّ لتصيب الذرّيّة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«كسب الحرام يبين في الذرّيّة»**[2].

٣ - أكل الحرام أكل للنّار:

ولأكل مال الحرام صورة ملكوتيّة أو على الأقلّ برزخيّة إذ إنّ الإنسان الذي يأكل المال الحرام في نفس الوقت وفي الواقع يأكل ناراً إلّا أنّه لا يشعر بها نتيجة انغماسه في الدّنيا ولذائذها وغفلته عن الآخرة وحقائقها، فعن أبي عبد الله عليه السلام: **«من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه أكل جذوة من النّار يوم القيامة»**[3].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[4].

(١) سورة المطفّفين، الآية ١٤.
(٢) الكافي، ج ٥، ص ١٢٥.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣.
(٤) سورة النساء، الآية ١٠.

٤ – لا بركة فيه ولا أجر على إنفاقه:

إنّ من آثار الطعام إنبات اللحم وتقوية الجسم وغير ذلك فعندما يكون ذلك على الحرام فمعنى ذلك أنّ لإبليس وجنوده حصّة في أجسادنا وممرّاً إلى نفوسنا، وهذا يؤدّي إلى سطوته علينا وسهولة استدراجه لنا إلى حبائله ومكائده فسيدرجنا من حرام إلى حرام، وهذا معنى كونه غير مبارك، قال أبو الحسن عليه السلام لأحد أصحابه: **«يا داود، إنّ الحرام وإن نما لم يبارك له وفيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه، وما خلّفه كان زاده إلى النّار»**[1] فضلاً عن كونه ما دام في جسده ومعه وعنده موجباً للعن الله والملائكة ككلّ مغصوب.

٥ – عدم التوفيق للطاعات والمكرمات:

فيما روي أنّ من صفات المحتشدين في مواجهة الإمام الحسين عليه السلام مع جيش ابن سعد وفي الذين تخلّفوا كذلك عن نصرته أنّهم مُلئت بطونهم حراماً.

وهذا كافٍ لنعرف أنّ أكل المال الحرام قد يمنع الإنسان من نصرة الحقّ بل خذلانه وربّما نصرة الباطل والكون في زمرة قتلة أبناء الأنبياء عليهم السلام.

(١) الكافي، ج ٥، ص ١٢٥.

خاتمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[1] هذه الآية آتية لتؤكّد ما قلناه من أنّ الإنسان الذي يجمع ماله من حرام ولو فعل أفعال البرّ فحجّ وزار وصام وصلّى وتصدّق فإنّ عمله سيكون هباءً منثوراً لن يجده شيئاً؛ والأسوأ من ذلك أنّه قد يكون أطعم من ماله وسقى وأسكن وألبس منه وأنفقه على زوجته وأبنائه، فعندما ينكشف لهم يوم القيامة أنّ مسكنهم كان من حرام ومأكلهم من حرام ومشربهم من حرام وملبسهم من حرام سيصبحون ألدّ أعداء هذا الرجل وسيكونون ناقمين عليه وسيكونون من الشاكين منه وعليه، ويطلبون من الله أن يزيد في عذابه، والأشدّ من ذلك أن يرث ماله من يحسن إلى أهل الفاقة وينفقه في وجوه الطاعة والبرّ فيدخل الجاني للمال النّار بسببه، ويدخل الوارث الجنّة بسبب إنفاقه في البرّ والإحسان ويا لها حينها من حسرة.

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٣.

المحاضرة الثالثة

أسباب إدبار القلوب وفتورها

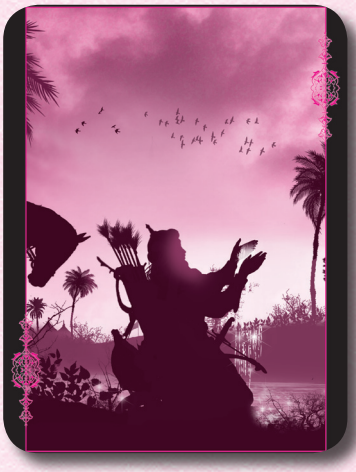

الهدف:

بيان خطورة فتور القلب عن العبادة وإدباره عنها وأسباب ذلك مع التوجيه إلى ضرورة المعالجة.

تصدير الموضوع

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ القلب يحيا ويموت، فإذا حيي فأدّبه بالتطوّع، وإذا مات فاقصره على الفرائض»**[1].

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٢٧٨.

مقدّمة: جفاف روحيّ:

عندما ننظر إلى أنفسنا وإلى النّاس من حولنا، أو نطالع في سير النّاس الماضين نجد أنّ الكثيرين منّا قد مرّ عمر مديد على بدء تكليفه من عشرين أو ثلاثين أو أربعين أو حتّى أكثر من ذلك، صحيح أنّه لم يترك فرضاً من صلاة إلّا أدّاه ولا ترك يوماً من صيام شهر رمضان وحجّ واعتمر، ولا يخلو منه مجلس دعاء، أضف إلى حضور مجالس العزاء وأداء الحقوق الماليّة، والتردّد إلى المساجد، لكن مع ذلك لا يشعر بالطمأنينة والسكون، ولا يلتذّ بعبادة كأنّ ما يؤدّيه حركات رياضيّة وتمتمات لا يجد أثرها في نفسه ويشعر بلذّتها كأنّما قالها غيره ولغيره.

وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1].

إذاً فثمّة مشكلة تتلخّص بعدم انفعال القلوب بالعبادة، فماء العبادة ومطر الذكر لا يصل إلى أرض القلب لتنبت سكينة وطمأنينة ورقّة... فمعرفة وخشوعاً وخضوعاً. هناك جفاف في الروح والقلب بل شيء أشبه بالتصحّر ومكان المرض هو القلب الذي هو المعنيّ الأوّل بتلقّي الذكر وعيش آثاره وإذا ما أصاب المرض باقي القوى فبسبب مرض القلب.

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده وإذا فسد الملك فسدت جنوده»**[1].

وهذه الحال قد لا تكون دائمة عند بعض النّاس وإنّما قد تحصل مرّة بعد أخرى وهذا ما تسمّيه الروايات حالات إدبار القلب، ففي الرواية عن النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فتنفّلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة»**[2].

أسباب إدبار القلوب:

ثمّة أسباب كثيرة لإدبار القلوب تجعلها غير لائقة لطيّ مسافات البعد عن الله تعالى، ورفع موانع تلقّي أنوار إشراقه عليها؛ وهي المفطورة على معرفته ومحبّته بل إنّ حياتها الحقيقيّة هي به ومعه وبحبّه كما عبّر الإمام السجّاد تعيش حياتها الحقيقيّة: **«إلهي بحبّك عاش قلبي...»**.

فمن هذه الأسباب لإدبار القلوب:

١ - التوجّه إلى لذائذ الدّنيا:

أي التعلّق بالدّنيا ولذّات البدن، فإنّ ذائقة النّفس إن هيمن عليها البعد الحيوانيّ تصبح ذائقة حيوانيّة وتمنع من اللذائذ الروحانيّة والمعنويّة.

(١) ميزان الحكمة، ج ٣، ٢٦٠.

(٢) الكافي، ج١، ص٤٥٤.

وهذا ما جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: **«لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتّى لا يبالي من أكل الدّنيا، ثمّ قال: حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتّى تزهد في الدّنيا»**[1].

فعندما تكون ذائقة الجسد هي الفعّالة فإنّ ذائقة القلب تصاب بالضعف وقد تصل إلى حدّ الضمور، ولذا فعلينا أن نعالج ذلك بالزهد والجوع أي الصوم مع مجاهدة النّفس لإيقاظ الذائقة المعنويّة.

٢ - اتباع الهوى:

ويكفي دلالة على ذلك ما في الرواية عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلّا شتّت عليه أمره ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها ولم آتِه منها إلّا ما قدّرت له، وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا استحفظته ملائكتي وكفّلت السماوات والأرضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر وأتته الدّنيا وهي راغمة»**[2].

(١) شرح أصول الكافي (الشيرازي)، ج١، ص٤١٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٢٧٩.

٣ – إرهاق النّفس بالعبادة مع عدم إقبالها:

وهذا ما يؤدّي إلى أن تكره النّفس العبادة، وتملَّ منها وتكسل عن أدائها نتيجة إنهاك الإنسان لهذه النّفس بالعبادة بما يفوق طاقتها، وقد حذّرنا من ذلك الرسول ﷺ وأهل بيته فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى»**[١].

وقد علّمنا الإمام الرضا عليه السلام كيف نتعامل مع تفاوت حالات القلب فقال عليه السلام: **«إنّ للقلوب إقبالاً إدباراً ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلّت وملّت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها»**[٢].

٤ – ضعف الإيمان بالغيب:

ونقصد به الله تعالى والجنّة والنّار وغير ذلك، إذ عندما يكون المرء متزلزل الإيمان ضعيف اليقين متردّداً في الشكّ ملوّثاً بالشبهات، لا يركن إلى وعد إلهيّ ولا إلى وعيد فهذا القلب سيكون سقيماً، وشرط انفعال القلب بالعبادة السلامة، وقد

(١) الكافي، ج٢، ص٨٦.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٥٥.

سُئل رسول الله ﷺ: ما القلب السليم، قال ﷺ: **«دين بلا شكّ وهو عمل بلا سمعة ورياء»**[1].

وقال سبطه المجتبى عليه السلام: **«أسلم القلوب ماطهر من الشبهات»**[2].

٥ – الغفلة:

إنّ شرط تأثّر الإنسان هو انتباهه ويقظته، فلو كان في سبات الغفلة أو سكر النعمة أو الجاه والسلطة أو غير ذلك فإنّه أشبه بميّت في قبر حتّى رسول الله ﷺ لم يؤذن له بإيقاظه وهدايته: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[3].

ومن لا يسمع أولى أن لا يتفكّر فيهم فيتأثّر، عن أبي جعفر عليه السلام: **«إيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب»**[4].

خاتمة: لا تؤدِّ العبادة كأنّها عادة:

من الأمور التي تفقد البعد المعنويّ للعبادة، وتجعل سهامها تطيش عن مقصدها وهي القلوب، أن يحوّل الإنسان العبادة إلى طقس فارغ من معانيه، يؤدّيه لعادة اعتادها لو تركها لاستوحش وحتّى لا نصاب بذلك علينا اتّباع جملة من الأمور منها:

(١) مستدرك الوسائل، ج١، ص ١١٣.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٠٩.
(٣) سورة فاطر، الآية ٢٢.
(٤) وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٤.

١ – إدامة التفكّر في العبادة وأبعادها ومعانيها ومعاني أفعالها وأقوالها فعن رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذرّ ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساه»**[١].

٢ – عدم إشباع النّفس من العبادة، خصوصاً الحجّ والزيارة فعلى الإنسان أن يُبقي شيئاً من حالة عدم إشباع هذه الحاجة ليبقى شيء من الشوق بحيث يشكّل هذا الشوق دافعاً يتراكم في النّفس للعودة والإقبال على الطاعة.

اللهمّ وفّقنا لمراضيك وجنّبنا عن معاصيك.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٨٢.

الليلة السادسة

المحاضرة الأولى

بناء البصيرة

الهدف:

سِمَة أصحاب الحسين عليه السلام وأنّهم أصحاب البصائر، والإضاءة على أهمّيّة البصيرة ومعناها وكيفيّة بنائها.

تصدير الموضوع

حدّثنا أمير المؤمنين عن البصير من النّاس فقال: «**فإنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثمّ سلك جدداً واضحاً يتجنّب فيه الصرعة في المهاوي**»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٥٣.

مقدّمة: أصحاب الحسين أصحاب البصائر:

ولقد شهد بذلك لهم أحد قادة جيش ابن سعد وابن زياد وهو من ألدّ أعداء الحسين عليه السلام وأصحابه ألا وهو عمرو بن الحجّاج الزبيديّ حيث خاطب أصحابه قائلاً: أتدرون من تقاتلون؟! تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز لهم أحد منكم إلّا قتلوه على قلّتهم[1]. فمن خصائص أصحاب الحسين عليه السلام أنّهم أصحاب بصائر.

وقد أشار عدوّهم إلى أثر ذلك بأنّهم لا يهزمون بسرعة، بل يقاتلون حتّى الشهادة، وقد أورثهم ذلك عزماً وقوّة بحيث لا يبرز إليهم أحد إلّا قتلوه!

وتجلّى ذلك كذلك في سقوط هيبة العدوّ وعدده وعدّته في أعينهم، فلم يعد مؤثّراً في عزائمهم وعلوّ هممهم.

وكذلك هان الموت عليهم في سبيل المبدأ والقضيّة التي يقاتلون لأجلها، لدرجة أنّ أحدهم وهو عابس بن شبيب الشاكريّ يلقي درعه ومخفره لعلّ القوم يقدمون على منازلته بعد أن أحجموا عن ذلك غير عابئ بسهام الأعداء ولا بحجارتهم ليستشهد بعدها بما أصابه منها.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩.

ما معنى البصيرة؟

البصيرة هي قوّة عند الإنسان توجد نوعاً من الرؤية الواضحة للأمور حسنها وقبيحها جيّدها ورديئها صحيحها وسقيمها، وهي نظرة تنكشف بها للمتبصّر عواقب الأمور فيرى ما وراء الأعمال نتيجة إعمال الفكر فيصبح على يقين منها كمن يعاينها، فإذاً البصيرة هي قدرة على الرؤية الصحيحة التي يساعد في تشكلّها العقل والتجربة والتربية والعلم والثقافة والتي يصطلح على تسميتها في هذا الزمن بالوعي.

فالذي يفقد البصيرة كالذي يفقد البصر، لأنّ من يفقد البصيرة يقع في ضعف بل الخطأ في تشخيص الأمور، ولذا يخدعه الخادعون ويدلّس عليه المدلّسون، ويوقعه في الشبهات المشبِّهون، فإذا كان فاقد البصر أعمى العين، فإنّ فاقد البصيرة أعمى القلب، وماذا ينفع البصر مع عمى البصائر، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

كيف تُبنى البصيرة؟

هناك عدّة عوامل تسهم في بناء بصيرة الإنسان وتساهم كذلك في زيادة قوّتها وفعاليتها، ومنها:

(١) سورة الحجّ، الآية ٤٦.

١ - قوّة العقل:

وهذا يحصل أوّلاً وبالذّات بالتعلّم والاستفادة من التجارب، والحجج والبيّنات لإجراء عمليّة التفكّر بالاستفادة من العلم والتجربة. والحقيقة أنّ ما يقوّي العقل هو إدامة التفكّر والتأنّي والتدبّر قبل أيّ عمل وبعده، أمّا قبله لمعرفة عواقبه وإمّا بعده لحفظ التجربة ووعيها للاستفادة منها في المستقبل كتغذية راجعة للعقل والفكر.

ولذا جاء عن الاستفادة من التجربة: **«المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين»**[١].

٢ - التفقّه في الدّين:

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: **«تفقهوا في دين الله، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدّين والدّنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقّه في دينه لم يرض الله له عملاً»**[٢].

والتفقّه في الدّين معناه معرفة العقائد الحقّة وأدلّتها التي تورث اليقين إضافة إلى تعلّم الأحكام الشرعيّة. فإنّ ذلك يوسّع آفاق الإنسان ويقوّي عقله بقوّة يقينه.

(١) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٣٤٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٢١.

٣ - المعرفة بالزمان وأهله:

لا شكّ أنّ جهل الإنسان بأخلاق وطبائع وعادات وأعراف أهل زمان ما ومكان ما قد يكون سبباً في انخداع الإنسان، أو تشوّش الصورة عنده، والتباس الأمور عليه؛ بينما معرفة الإنسان بالنّاس وعاداتهم وثقافاتهم وحتّى مفردات تخاطبهم وأفكارهم ومذاهبهم الفكريّة والسياسيّة والعقائديّة وغير ذلك يحميه من الانخداع؛ وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: **«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»**[1].

فاللوابس يقصد بها الأمور المبهمة والملتبسة التي تحصل نتيجة عدم وضوح الرؤية وغياب القدرة على التشخيص، فإذا علم الإنسان بطبيعة الزمان وأهله، أي بالعصر ولغته وثقافته وإيقاعه اتّضحت الرؤية وزال ما يشوب المشهد من ضباب، وانجلت أمام العقل والفكر الصورة.

٤ - تعويد النّفس على التعامل مع الأدلّة والبراهين:

ذلك أنّ أصحاب البصائر يفترض أن يكونوا أصحاب عقول لا يحكمون إلّا عن دليل ولا يتحرّكون إلّا عن وعي وفهم، ولذا لا يسلّمون ولا يقبلون بكلّ مقولة إلّا بعد الدليل والبرهان، ولذا اشتهر على ألسنة علماء الشيعة وفي مدوّناتهم القول: **«نحن أتباع الدليل كيف ما مال نميل»**.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٧.

٥ – عدم الانخداع ببريق الأسماء ورنين البيان:

على الإنسان لكي يكتسب البصيرة أن لا يؤخذ بأسماء القائلين ولا بسحر البيان وخصوصاً أساليب الترويج الذي يعتمده الإعلام المضلّل في هذا الزمان. وكلّ ذلك يمكن استفادته ممّا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا يعرف الحقّ بالرّجال، اعرف الحقّ تعرف أهله**»(١).

٦ – تقوية الصلة بالله تعالى:

إذ إنّ الله تعالى هو مصدر كلّ النّعم ظاهرها وباطنها، صغيرها وجليلها والذي يقوّي صلته به تعالى ويوثّقها يعني أنّه اقترب من مصدر كلّ خير وكلّ نعمة، وممّا لا شكّ فيه ولا ريب أنّ من كان قريباً منه تعالى يفيض الله عليه من بركاته، وليس أفضل من البصيرة معيناً للإنسان في دنياه وفي آخرته، فإنّ الإنسان في الدّنيا بالبصر وفي الآخرة وأمورها بالبصيرة.

ومن جملة تقوية الصلة بالله تعالى، كلّ ألوان العبادة، والدعاء، والمناجاة، والحكيم هو من قرن بين تقوية الصلة به تعالى وطلب أن يكون الأثر هو البصيرة في العبادة وفي غيرها، وهذا ما علّمنا إيّاه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذ إنّه كان

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٦.

من دعائه: **«اللهمّ وثبّت في طاعتك نيّتي، وأحكم في عبادتك بصيرتي»**[1].

خاتمة: البصيرة ضمان حسن العاقبة:

ذلك أنّ البصيرة ترشد صاحبها إلى أن يسعى ليختم عمره بأفضل طريقة وأسلوب لتسلم له الآخرة بعد أن ترشده البصيرة إلى السلامة من الدّنيا وهذا بعينه حسن العاقبة.

فما أشقى الإنسان الذي يعيش عمره وهو لا يبالي على أي جهة يكون وجهه حين مغادرته لهذه الحياة وإلى أي جهة يساق، وقد حدّثنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال:

«لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له»[2].

فالبصيرة ضمان أن لا تزلّ قدم الإنسان إلى ما يوجب سوء الخاتمة والعاقبة.

(١) الصحيفة السجّاديّة، دعاء التوبة، رقم ٣١.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج٧، ص٢٩٧.

يا عبد الله

المحاضرة الثانية

المنجيات من النّار

الهدف:

الحثّ على معرفة الله وتوحيده وطاعته وطلب العلم به تعالى مع العمل الصالح.

تصدير الموضوع

﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

مقدّمة: النجاة من النّار هي الفوز:

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

إنّ هذه الآية تصرّح بأنّ الفوز في العرف القرآنيّ، والنهج الربّانيّ مؤلّف من ركنين، الأوّل: هو النجاة من النّار، وتمامه بالركن الثاني وهو: دخول الجنّة؛ ولعلّ تقديم الزحزحة عن النّار في الذكر ذلك لأنّ العقلاء رسموا قاعدة ألا وهي أنّ دفع المضرّة أو المفسدة أولى من جلب المنفعة، والعقل يقول كذلك إنّ على الإنسان أن يعمل على الخلاص من الخطر والشرّ قبل أن يعمل على الحصول على الخير وما فيه النعمة والمفسدة، فأيّ نعمة حتّى لو كانت كدخول الجنّة والخلود فيها تنغصّها بلا شكّ ضرورة المكوث في العذاب، عذاب النّار. وحقّ أن يقول قائل: إنّ هكذا دخول الجنّة بعد العذاب في النّار لا يكون فوزاً، وهذا ما أتت الآية لتقوله وهو أنّ دخول الجنّة ما لم يقرن بالنجاة من النّار ليس بفوز وإنّما الفوز هو الزحزحة عن النّار والنجاة من لهيبها ودخول الجنّة.

ومن يطيق يا ترى عذاب جهنّم التي هي محلّ تجلّي غضب الله الذي لا تقوم له السماوات والأرض فكيف بعبد ضعيف ذي جلد رقيق وعظم دقيق؟!

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

محاور الموضوع

كيف ننجو من النّار؟

إنَّ عذاب النّار إنّما كان للخارجين عن سكّة العبوديّة والتوحيد لله تعالى، هذه العبوديّة أو الطاعة وهذا التوحيد الذي من تجلّياته الطاعة والعبوديّة له تعالى؛ ويتجلّى التوحيد عبوديّة وطاعة صادقة في شتّى نشآت النّفس وقواها؛ من القلب إلى العقل، إلى الجسد، ومن العاطفة إلى السلوك والمعاملة، فقد قال تعالى عن النّار: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾[1].

أي تتسلّط بالعذاب المناسب على محلّ الجحود والشرك والمعصية من الأفئدة إلى الجوارح، وعليه فلتكون لنا نجاة من النّار علينا أن نكون موحّدين حيث آلات التوحيد وطائعين بآلات الطاعة.

ولنذكر بناءً عليه المنجيات من النّار:

١ – الاعتقاد بالله وتوحيده:

بمعنى تثبيت الاعتقاد بألوهيّة الله تعالى ووحدانيّته حتّى لا تزلزله رياح الشكوك وفتن المفتنين، لأنّ من الإيمان ما هو مستقرّ ومنه ما هو مستودع كما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: «**فمن**

(١) سورة الهمزة، الآيتان ٦ – ٧.

الإيمان: ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور»[1].

وإذا أردنا تثبيت هذا التوحيد علينا أن نغذّي إيماننا بتحصيل العلم به ليترسّخ اليقين به تعالى وبوحدانيّته وسموّ ذاته وعلوّ مقامه وليكتمل توحيدنا وإيماننا بألوهيّة الله ووحدانيّته لا بدّ من ظهوره على آلة إظهاره والجارحة المعبّرة عن العقل والقلب.

وقد جمعها أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل بسؤال أقرب إلى الإقرار منه إلى الإنكار حيث جاء عنه عليه السلام في الدعاء الذي علّمه كميل بن زياد:

«وليت شعري يا سيّدي وإلهي ومولاي أتسلّط النّار ... وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة، وبشكرك مادحة وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محقّقة، وعلى ضمائر حوت من العلم به حتّى صارت خاشعة...».

فصدق الألسن بكلمة التوحيد تابع ليقين القلوب بالألوهيّة عن تحقق، ويرسخ ذلك في أعماق النفس طلب العلم به تعالى بما يؤدّي إلى معرفة تنعكس خضوعاً وخشوعاً له تعالى.

٢ - العمل الصالح:

لا نحتاج كثيراً لنؤكّد على ضرورة اقتران الإيمان القلبيّ بالعمل الجوارحيّ، وقد غدا سمة من سمات الخطاب القرآنيّ،

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

وكم تكرّرت عبارة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وأمثالها وما في معناها في القرآن الكريم.

ولذا أكمل أمير المؤمنين تساؤله وليس فقط سؤاله في دعاء كميل إذ قال: «**... وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبّدك طائعة**».

ولذا كان في عرف أمير المؤمنين للعلم مراتب ودرجات أدناه درجة الذي لم يجاوز اللسان، وأرفعه الذي يتجلّى طاعة على الجوارح ويقيناً في الجوانح فعنه عليه السلام: «**أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان**»[1].

٣ – الاستغفار والتوبة:

ويكفي في ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب استغفر الله**»[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[3].

٤ – العبادة لله تعالى:

فالعبادة خصوصاً الصلاة سبب في غفران الذنوب وموجبة لرضا الرحمن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4] ورد أنّها الصلاة إلى الصلاة فإنّه يغفر ما بينهما.

(١) نهج البلاغة، ج٤، الحكمة ٩٢، ص٢٠.
(٢) مكارم الأخلاق، للطبرسيّ، ص٣١٢.
(٣) الكافي، ج ٢ ص ٤٣٥.
(٤) سورة هود، الآية ١١٤.

ومن العبادة السجود لله تعالى وهي أقرب حالات العبوديّة له تعالى، ولذا نجد أمير المؤمنين عبّر عن هذا الأمر المنجي بدعاء كميل قائلاً:

«... أتسلّط النّار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة...»

لكنّ السجود المنجي في هذه الفقرة هو السجود الناجم عن الشعور بالعظمة الإلهيّة، سجود المتوجّه بذلّه إلى عزّ المولى وعظمته، وليعمل على مصاحبة ذلك من المنجيات البكاء من خشية الله حيث الدمعة منه تطفي بحاراً من النيران.

٥ - حسن الظنّ بالله تعالى:

فالله تعالى عند حسن ظنّ عبده به إن أحسن الظنّ بالله تعالى بمعنى أن يكون بحسب علمه به تعالى ويقينه بجماله وامتلاء الوجود وشتّى النشآت برحمته متوقّعاً لتجاوزه عن سيّئاته وغفران ذنوبه وذلك لكرم الله تعالى وسعة رحمته.

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه فيقول الله: ألم آمرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتي؟ فيقول: بلى يا رب، ولكن غلبت عليّ شهوتي فإن تعذبني فبذنبي، لم تظلمني، فيأمر الله به إلى النّار، فيقول: ما كان هذا ظنّي بك، فيقول: ما كان ظنّك بي؟ قال: كان ظنّي بك أحسن الظنّ؟ فيأمر الله به إلى

الجنّة، فيقول الله تبارك وتعالى: «لقد نفعك حسن ظنّك بي الساعة»[1].

خاتمة: زيارة الحسين عليه السلام منجية من النّار:

إنّ الشفاعة، شفاعة النبيّ وأهل بيته من المنجيات من النّار ولهذه الشفاعة موجبات، منها حبّ آل البيت والولاء لهم، ومنها البكاء على مصاب أبي عبد الله الحسين، ومنها الزيارة لمرقده الشريف.

كما جاء عن ذلك شعراً:

إذا رمت النجاة فزر حسيناً
لكي تلقى الإله قرير عينِ
فإنّ النّار ليس تمسّ جسماً
عليه غبار زوّار الحسينِ

(١) المحاسن للبرقيّ، ج ١، ص ٢٥.

يا عبد الله

المحاضرة الثالثة

من آداب التوبة

الهدف:

بيـان بعضـ آداب التوبــة ومقدّماتها من خلال دعاء التوبة للإمام السجّاد عليه السلام مع الترغيب بها والحثّ عليها.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[1].

(١) سورة التحريم، الآية ٨.

مقدّمة: التوبة لجوء إلى رحمة الله:

لقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

هذه الآية خطاب للنبيّ ﷺ بعنوان نبوّته ورسوليّته، وعبره إلى كلّ حامل للإسلام أن يعلموا النّاس كلّ النّاس أنّ الله غفور، يغفر الذنوب جميعاً، ورحيم في معاملتهم في كلا الدارين، وقد أشار إلى أنّه تبارك وتعالى يعاهد النّاس بل كلّ المخلوقات أن يعاملهم بالرحمة قائلاً: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2].

وزيادة في بثّ روح الأمل في نفوس البشر خصوصاً المذنبين منهم قال لهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

ولأنّ المذنبين بذنوبهم يشعرون بأنّهم بعيدون عن ساحة رحمة الله ومستحقّون لعقوبات الآجلة منها بل والعاجلة، قد يظنّون وهم على هذه الحال أنّهم ممنوعون من مخاطبته تعالى وطلب العفو والمغفرة، وهذه من حيل إبليس وتلبيساته، جاء الخطاب الإلهيّ بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن

(١) سورة الحجر، الآية ٤٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.
(٣) سورة الزمر، الآية ٥٣.

﴿رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وحتّى لا يستبدّ المرض الخطير وهو اليأس من رحمة الله بالعباد، فلا بدّ من باب يلجأ به الإنسان إلى كنف مغفرته تعالى من سطوات جبروته وقاهريّته، لا بدّ من باب يفضي إلى دار أمنه وأمانه من خوف عقابه وانتقامه، فكان الباب هو التوبة التي اقتضتها رحمته تعالى، فبالتوبة يلجأ العبد إلى رحمته تعالى ليعالج أمراض الذنوب وليتحوّل من مبغوضه إلى محبوبه تعالى.

آداب التوبة ومقدّماتها:

كما أنّ للتوبة أركانها وهي الندم والعزم على ترك الذنوب، وشرائط لقبولها وهي جبران التقصير في حقّه تعالى والخروج من مظالم العباد بردّها وطلب المسامحة منهم، كذلك فإنّ لها آداباً، ذكرتها الأدعية المنقولة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا سيّما الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعائه الموسوم بدعاء التوبة فمنها:

١ - الإقرار بالذنوب بين يديه تعالى:

إذ يعلّمنا هذا الأدب قائلاً: «**هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب، وقادته أزمّة الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان، فقصّر عمّا أمرت به تفريطاً، وتعاطى ما نهيت عنه تعزيرا، كالجاهل بقدرتك**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

عليه، أو كالمنكر فضل إحسانك إليه»[1].

ومضمون الإقرار والاعتراف بالذنوب أن يقف موقف الذليل كاسراً كبرياء نفسه التي بها أقدم على ذنبه فكما أقدم باعتزاز على الذنب، أو على الأقلّ بلا مبالاة كما تفيده عبارة: **«كالجاهل بقدرتك عليه»** أو بنكران الجميل كما ترشد إليه عبارة: **«أو كالمنكر فضل إحسانك إليه»**، عليه أن يتأدّب بين يديه تعالى ويؤدّب نفسه بإيقافها هذا الموقف مع هذه الحال في إقدامه على الإقرار ذليلاً منكسراً، ولا بدّ من الإشارة إلى أن الإقرار والاعتراف هو من ترشّحات الندم القلبيّ على اللسان، ولنتأمّل قليلاً ما ساقه من الاعتراف بأنّه عندما انساق إلى الحرام كان قائده إلى ذلك شهوته وهواه ورغباته فأسقطه ذلك في قبضة الشيطان، كأنّه أصبح مهيمناً عليه.

٢ - الاستيقاظ من الغفلة:

وهي مقدّمة لسلوك الطريق الموصل إلى التوبة، إذ بلا يقظة وانتباه جديّين كيف يتوب الإنسان؟ ولذا عدّها علماء السلوك أولى خطوات السالكين إليه، وعنها قال عليه السلام: **«حتّى إذا انفتح له بصر الهدى وتقشّعت عنه سحائب العمى..»**، لكن هذه اليقظة مقدّمتها الاعتراف والإقرار التي تشكّل محفّزاً على اليقظة كوخز الأبر للنائم، ولكن لتنفع اليقظة ولا يعود المذنب

(١) الصحيفة السجّاديّة.

إلى غفلته وسباته في قبضة الشيطان لا بدّ من أن تتبعها خطوات هي محكّ جدّيّة التوبة ومؤثّريّة اليقظة وهي:

أ - إحصاء الذنوب: وفيه قال: **«أحصى ما ظلم به نفسه»** ذلك أن من يريد إصلاح ما أفسد عليه أن يحصي أخطاءه ليخرج منها جميعاً، ذلك أنّ التوبة إمّا أن تكون شاملة لكلّ الذنوب، وإلّا فإنّها ليست بجدّيّة تمام الجدّيّة.

ب - التفكّر بالحال التي هو عليها والذنوب التي اقترفها: فليس من إحصاء الذنوب هو عدّها، بل المقصود أن يعرف الإنسان أوّلاً سوء الحال التي هو عليها، تماماً كما يحصل لمن قضى ليله سكران فإنّه بعد إفاقته من سكره سيرى ما فعله، بنفسه وبمن وما هو حوله وبالتالي ستكون النتيجة المرجوّة من التفكّر انكشاف سوء حاله وقبح واقعه: **«فرأى كبير عصيانه كبيراً، وجليل مخالفته جليلاً»**.

٣ - اللجوء إلى الله تعالى:

فبعد اليقظة وانكشاف الواقع المزري لا بدّ من البحث تلقائيّاً عن المؤمن من العواقب، والمعين على الخلاص، والمساعد في الإصلاح، ولأنّه بالتفكّر يعرف أن جرحه وخطأه مخالفة لله، ومجانبة لشرعه، وخروج عن طاعته، ولأنّه الله الواحد الأحد

الذي كتب على نفسه الرحمة لا بدّ من اللجوء إليه: **«فاقبل نحوك»** لكن لما كان على هذه الحال المبغوضة له تعالى فهذا اللجوء لا بدّ أن يكون مصحوباً بجملة من الأمور والآداب ومنها:

أ – الحياء: **«مستحيياً منك»**، والحياء أحد موانع الذنوب فاستحضاره هنا ليكون مستجلباً لعطفه تعالى.

ب – الرغبة والثقة به تعالى: **«ووجّه رغبته إليك ثقة بك»**.

ج – بين الخوف والرجاء: **«فأمَّكَ بطمعه يقيناً، وقصدك بخوفه إخلاصاً»**.

وفي هذا إشارة إلى توحيده تعالى في الخوف والرجاء وعلى هذا النوع من التوحيد أكّد بقوله عليه السلام: **«قد خلا طمعه من كلّ مطموع فيه غيرك، وأفرخ روعه من كلّ محذور منه سواك»**.

٤ – الدعاء:

والذي يشير إلى ذلك قوله عليه السلام: **«فمثل بيد يديك متضرّعاً»** لدعاء طالب التوبة من الله آدابٌ، منها:

أ – في ظاهر حال الداعي أن يعكس بظاهر جسده حالة الحياء، والمذلّة لأنّه يتوجّه من ذلّ مسكنته كمذنب إلى رحمة الباري، وليكون على هيئة يستعطفه بها. **«وغمض بصره إلى الأرض متخشّعاً وطأطأ رأسه لعزّتك متذلّلاً»**.

ب – تضمين الدعاء جملة من الأمور:

١ – الإفصاح عن الذنوب وتعدادها سرّها وعلانيّتها:

كما جاء في الدعاء: «**وابثّك مِن سرّه ما أنت أعلم به منه خضوعاً، وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعاً**». تماماً كالمريض الذي يصف لطبيبه المداوي علله وعوارضها ليترفّق به ويتحنّن عليه بالمداواة، وتخفيف الآلام بل إزالتها.

٢ – الاستقامة:

وعلى الداعي أن لا يكتفي بتعداد الذنوب، بل عليه أن يطلب غوثه تعالى مسترحماً مستعطفاً عند من بيده الانجاء من التبعات والعواقب فمن ذلك قوله عليه السلام: «**واستغاث بك من عظيم ما وقع به في علمك وقبيح ما فضحه في حكمك، من ذنوب أدبرت لذّاتها فذهبت، وأقامت تبعاتها فلزمت**».

٣ – اليقين بإجابته تعالى:

لكن بعد عدم استعظام عدله إن عاقب ورحمته إن عفا لأنّ من صفاته وهو الكريم: «**لأنّك الربّ الكريم الذي لا يتعاظمه غفران الذنب العظيم**».

خاتمة: له الفضل في التوبة والتوفيق لها:

هذا النذر اليسير من آداب التوبة ومقدّماتها التي ألفت إليها دعاء التوبة للإمام زين العابدين عليه السلام والتي – إضافة إلى

ما ذكرنا- بقيت مضامين كثيرة، منها: إسناد الفضل إليه في اللجوء إلى التوبة الذي يشير إليه قوله عليه السلام: **«فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك فيما أمرت به من الدعاء، متنجّزاً وعدك فيما وعدت به من الإجابة إذ تقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.**

على أنّه لا بدّ من تأكيد العزم على التوبة، وهذا ما لَفَتَ إليه عليه السلام بقوله: **«اللهمّ إنّي أتوب إليك... توبة من لا يحدِّث نفسه بمعصية، ولا يضمر أن يعود في خطيئة...»**.

الليلة السابعة

يا عبد الله

المحاضرة الأولى

الثبات

الهدف:

بيـان أنّ الحـوادث هي لكشـف حقائق البشر، والإضاءة على عوامل التزلزل وبيانها مع عوامل التثبّت.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

مقدّمة: حوادث الأيّام كواشف المعادن:

كم نصادف في حياتنا أناساً زلّت أقدامهم عن صراط الحقّ وانحرفوا، وكم نجد في بطون الكتب وحكايا النّاس من الأحاديث عن أناس من علّيّة القوم، ومن القيادات وأهل الفكر والرأي والخاصّة ومن قادة عسكريّين وسياسيّين، وكذلك من عامّة النّاس قد اعتراهم حالات من التراجع عن الحقّ والمبادئ وتزلزلوا وعن أناس من هذه الأنواع من تعلّلوا بشتّى العلل ليجدوا لتخلّفهم عن ركب الحقّ والصدق ما يُسوِّغه؛ وربّما تقرأ أو تسمع أنّ بعضهم قد كفر بالحقّ والقيم وتحوّل إلى عكسها فأصبح من أنصار الباطل وجنده؛ شاهراً سيفه على الحقّ وأهله ومسلّطاً لسانه ومسخّراً بيانه لخدمة الباطل وترويجه؛ وما ذلك إلّا بسبب نار التجربة وفي غربال المحنة اللذين يفرزان النّاس فتزلّ قدم، وتثبت أخرى، ويهوي طود، وتشمخ قامة وتنحطّ نفس وتسمو أخرى.

وهذا طبع الزمن وطبع حوادثه تكشف حقائق النّفوس ومستورها والخبايا لتظهر حقائق الجوهر من زيف التراب، عن الإمام عليّ عليه السلام: **«في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال»**[1].

(١) نهج البلاغة، الموعظة رقم ٢١٧.

محاور الموضوع

عوامل التزلزل:

ثمّة مجموعة من العوامل ترجع إلى حالات نفسيّة متأتّية في الأغلب من منظومة علاقات الإنسان، ومكنونات القلوب وما عقدت عليه وتيقّنت به والعواطف وغيرها، ومن هذه العوامل:

١ - الخوف من الموت:

قد يثبت بعض النّاس في المواطن لكن عندما يصل الأمر إلى درجة يشكّل فيه خطراً على حياته أو حياة من يحبّ أو ينتمي إليه فقد يتزلزل، وفي الحاضر وأخبار الماضين شواهد كثيرة على ذلك.

ومن الشواهد ما حصل مع سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة الذين ما إن هدّدهم ابن زياد بالقتل عبر التلويح بمجيء جيش أهل الشام حتى انفضّوا من حول مسلم (رضوان الله تعالى عليه) وأسلموه لمصيره، والعلاج هو اليقين بأنّ تقدير الموت والحياة بيد الله تعالى، وهذا ردّ به الله على المتوهّمين أنّ الذهاب إلى ميادين الجهاد يوردهم إلى الموت وأنّ ترك ذلك يبقي لهم حياتهم حيث قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ...﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

ثمّ إنّه لو أنّ الأجل حان لإنسان فهل باستطاعته تأخيره أو دفعه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

٢ - حبّ الدّنيا والركون إليها:

فلقد أدّى حبّ الدّنيا والركون إليها إلى أن يخذل أبناء الأمّة سيّد الشهداء بل أن يأتي بعضهم إلى كربلاء جنديّاً في جيش ابن زياد بدل أن يأتي ناصراً لابن بنت رسول الله ﷺ ولقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام هذا المرض عندهم فخاطب ذلك الجمع قائلاً: **«الحمد لله الذي خلق الدّنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الدّنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيّب طمع من طمع فيها»**[2].

٣ - حبّ المال والجاه والسلطة والخوف عليها:

فإنّ الكثيرين ممّن هم في مواقع السلطة وذوي الشرف وأصحاب المال قد يتزلزلون وينقلبون عن الحقّ وأهله إلى الباطل وجمعه، ويصبحون سهاماً في كنانته، وسيوفاً في يده، ومن الشواهد على ذلك مواقف شيوخ العشائر في الكوفة، ومزايداتهم بعضهم على بعض، ولعلّ من أبرز الأمثلة على ذلك موقف عمر بن سعد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦.

الذي كان يعبّر عن هذه الحال بقوله شعراً:

أأتـــرك ملك الـــري والـــري منيتي
أم أرجـــع مـأثـومـاً بقتل حسينِ

٤ – الشكّ وعدم اليقين بالآخرة:

وهذا أيضاً ما عبّرت عنه أبيات ابن سعد.

عوامل الثبات والصمود:

لا شكّ أنّ من عوامل الثبات كلّ ما هو مضادّ لعوامل التزلزل إضافة إلى أمور أخرى نورد منها:

١ – الاتعاظ من أحوال الماضين والتأسّي بالصالحين: وقد قال تعالى لنبيّه في ذلك: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وعن التأسّي بالنبيّ ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

وكفى بأصحاب الحسين عليه السلام مثلاً وقدوة لنا في الثبات رغم الأهوال والأخطار.

(١) سورة هود، الآية ١٢٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٢ - تثبيت العقائد الحقّة:

أي الإيمان بالله واليوم الآخر، وما أعدّه الله تعالى للمؤمنين الثابتين ولمن يقتل أو يموت في طريق نصرة الحقّ ثابتاً على الحقّ سائراً في طريق الهدى حافظاً في كلّ ذلك حدود الله بالاستقامة على شريعة الله تعالى.

وأيضاً تصحيح النظرة وتصويب العلاقة بالدّنيا ومالها وجاهها وفهم حقيقة الدّنيا وعدم الاغترار بها؛ وفهم حقيقة الجهاد وآثاره وبركاته والشهادة وفضلها ومقامها لتتحوّل النظرة من كونها في زمرة من قال فيهم تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

إلى رتبة ومقام من يصبح الجهاد والشهادة بشرى لهم كما أراد تعالى، وبذلك أمرنا بقوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾[2].

خاتمة: التثبيت من الله:

إنّ المؤمن حقّاً والموحّد حقّاً هو الذي يرى الله تعالى هو الفاعل والمؤثّر الأوحد في الوجود؛ وهو مصدر كلّ خير، وكلّ شيء من عنده من رزق وحياة وعلم وهُدى ويقين وثبات، وأضدّادها من

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

نقص أنفسنا، وحقٌّ على الفقير الناقص العاجز أن يلجأ إلى الكامل الغني الجواد الحنّان المنّان.

والتثبيت أمر من الأمور التي تبدأ من القلب، والله ربّ القلوب، وتنعكس في شتّى أرجاء النّفس والجسد والله كذلك ربّ الأجساد.

وقد علّمنا الله أن نلجأ إليه بكلّ شيء، كما حكى عن بعض المؤمنين ليعلّمنا أن نلجأ إليه وندعوه لنستمدّ منه الثبات والنّصر فقال عن سنّة المؤمنين والأنبياء في ذلك: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

فبالدرجة الأولى علينا أن ننصر الله ونلجأ إليه ليكون الأثر التثبيت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2].

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٤٦ – ١٤٨.

(٢) سورة محمّد، الآية ٧.

المحاضرة الثانية

الحياء هو الدّين

الهدف:

بيـان دور الأخـلاق في تشكيـل صورة الإنسـان النهائيّة وقيمة الحيـاء والعفّة، وممّن يكون الحياء وكيف يكون والحثّ عليه.

تصدير الموضوع

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ لكلّ دين خُلُقاً وإنّ خُلُقَ الإسلام الحياء»**[1].

(١) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٧.

مقدّمة: الأخلاق حقيقة الإنسان وصورته النهائيّة:

تتكوّن شخصيّة الإنسان ممّا يمتلكه من صفات نفسيّة وأخلاقيّة، وبها يتميّز من غيره، فحقيقة كيان كلّ إنسان هي تلك المواصفات التي يُعرف بها، وهذا ما يبرز دور الأخلاق، حيث تدعو إلى تكوين الأخلاق الحميدة وترسيخها في النفس حتّى تكون الأفعال الصادرة عن الإنسان تلقائيّة أملتها تلك الملكات النفسانيّة التي لا تُسمَّى خُلُقاً ما لم تصبح مَلَكة؛ والملكات منها الحسن والممدوح ومنها القبيح والمذموم، ويقول علماء الأخلاق إنّ الملكات الأخلاقيّة هي التي تصنع صورة الإنسان الحقيقيّة والواقعيّة والتي ستظهر ويكون عليها الإنسان في برزخه وفي محشره، فقد جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في رواية عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله في منزل أبي أيوب الأنصاريّ فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾... فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا معاذ، سألت عن عظيم من الأمر ثمّ أرسل عينيه»**، ثمّ قال: **«يحشر عشرة أصناف من أمّتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين وبدّل صورهم، بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير... فأمّا الذين بصورة القردة فالقتات من النّاس (النمّامون) وأمّا الذين على صورة الخنازير فأهل السحت...»**[1].

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٨٩.

وذكر ﷺ غير هذين الصنفين، والمحصلّة أنّ الملكات الأخلاقيّة هي التي تكون معيار الصورة التي يحشر عليها النّاس وهذا من ألوان العذاب، ولذا على الإنسان أن يجاهد نفسه أوّلاً لتحصيل الملكات الحميدة ويواظب على جهادها، ثانياً حفظاً لهذه الملكات ويعمل على المراقبة لنفسه حتّى لا تتزلزل وتتبدّل.

العفّة والحياء ومكانتهما في بناء الشخصيّة:

أكّدت الروايات على وجود علاقة متينة بين الحياء والدّين، بل يمكن الاستكشاف من بعضها أنّ الحياء هو أساس الدّين. ومن هذه الروايات:

- عن الرسول ﷺ: **«الحياء هو الدّين كلّه»**[1].
- عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا إيمان لمن لا حياء له»**[2].
- عن أحد الصادقين عليه السلام: **«الحياء والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»**[3].

وقد ذكر علماء الأخلاق أنّ الفضائل المتفرّعة عن العفّة ستّ وعشرون فضيلة ومنها الحياء والخجل، فالعفّة إحدى أمّهات الفضائل، ومن الفضائل المتولّدة منها الحياء، ومن الحياء- رغم

(١) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٧.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٠٩.

تفرعه عن العفّة – يتولّد مجموعة من الفضائل جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث حيث قال: **«أمّا الحياء فيتشعّب منه اللين، والرأفة، والمراقبة لله في السرّ والعلانية، والسلامة، واجتناب الشرّ، والبشاشة، والسماحة والظفر، وحسن الثناء على المرء في النّاس، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته»**[1].

محاور الموضوع

الحياء من أي شيء؟

عن الإمام عليّ عليه السلام: **«الحياء يصدّ عن فعل القبيح»**[2].

وقد أجمل الإمام عليّ عليه السلام ما يفترض أن يستحي منه الإنسان بوصفه بالقبيح، أي كلّ ما هو مستقبح سواء قبحه الشرع أو استقبحه العرف، فيشمل حينها كلّ حرام وكلّ منافٍ للآداب العامّة واللياقات الاجتماعيّة، وكلّ ما يخدش الذوق العامّ كرمي القذارات والتفوّه بالألفاظ القبيحة والفحش والسباب وكذلك التواجد في الأماكن التي تسقطه من أعين النّاس وتوجب سوء ظنّهم.

(١) بحار الأنوار، ج ١، ص ١١٨.

(٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٧.

ممّن يجب أن نستحي؟

١ – من الله تعالى:

إنّ الله حاضر ورقيب وشهيد على كلّ نفس وما تعمل بل وما تعتقد، بل وما تحدّث به النّفس نفسها وتضمره من ظنون ومشاعر، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر عليه أن لا يغفل عن حضور الله تعالى ومدى علمه به، وعليه أن يستحي من الله في الفعل، وحتّى خواطر الأذهان وحديث النّفس.

قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[١].

قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أوصني؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«استحِ من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»**[٢].

٢ – من النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنّ أعمال العباد تعرض على نبيّكم كلّ عشيّة خميس فليستح أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح»**[٣].

(١) سورة ق، الآية ١٦.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ٨، ص ٤٦٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١١٣.

وأمّا الأئمّة فعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في قوله تعالى: ﴿... اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾ قال عليه السلام: «هم الأئمّة عليهم السلام»[1].

٣ - الحياء من الملائكة:

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ليستح أحدكم من ملكيه اللذين معه كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه وهما معه بالليل والنّهار»[2].

٤ - الحياء من النّاس:

عن عليّ عليه السلام: «من لم يستح من النّاس لم يستح من الله سبحانه»[3].

٥ - الحياء من النّفس:

عن عليّ عليه السلام: «أحسن الحياء استحياؤك من نفسك»[4].

بماذا نستحي أو كيف نستحي؟

بمعنى أنّه ما هي الأمور التي تصلح لتكون مانعاً من صدور القبائح منّا وبالتالي تكوّن مفردات للحياء؟

١ - العفاف:

عن عليّ عليه السلام: «العفاف يصون النّفس وينزّهها عن الدّنيا».

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١١٣.
(٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٩.
(٣) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧١٩.

٢ - غضّ البصر:

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١].

عندما تنتشر عادة غضّ البصر تعظم في النفس وفي المجتمع قيمة المحرّمات، فلا تعود النساء متهتّكات بل ستغدو كلّ منهن مراعية للستر لا تبدي زينتها لكلّ ناظر.

٣ - الحياء في الستر:

ليس فقط على النساء وإنّما أيضاً على الرجال خصوصاً في بيوتهم وبين أبنائهم وبناتهم، وكذلك الشباب والإخوة أمام أخواتهنّ فعلى الجميع مراعاة الاحتشام في الثياب والملابس نساءً ورجالاً ذكوراً وإناثاً حتّى عن المماثل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أيّها النّاس، إنّ الله يحبّ من عباده الحياء فأيّكم اغتسل فليتوار من النّاس فإنّ الحياء زينة الإسلام»**[٢].

٤ - الحياء في القول:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ الله حرم الجنّة على كلّ فاحش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»**[٣].

(١) سورة النور، الآية ٣٠.

(٢) مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٤٨٨.

(٣) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٣.

خاتمة: التفتوا إلى رقابة الله

إنّ الحياء والعفّة قوام الدّين وحياته وحياة الدّين في المجتمع وما نراه هذه الأيّام من ابتذال في الملبس، وكذلك ذلك الجلوس في الشوارع للرجال وغيره والتلفّظ بالألفاظ البذيئة والعبارات التي تخدش الحياء وما نراه من تبرّج للنّساء وأزياء لبعض المحجبّات مع ما يحصل على وسائل التواصل الاجتماعيّ ينبئ عن ضعف الحياء واستهانة الكثيرين منّا بالحدود الشرعيّة، فاتّقوا الله في كلامكم، وملبسكم وفي نظرات أعينكم، فالله على كلّ ذلك رقيب؛ وإذا كان الإنسان يتميّز من باقي الحيوانات بصفة الحياء فيا تُرى ما هي الصورة التي سيحشر عليها من لا حياء له؟!

يا عبد الله

المحاضرة الثالثة

أفضل النّاس إيماناً المتصدّقون

الهدف:

التعـرّف على فضل الصدقة والحثّ على الإنفاق.

تصدير الموضوع

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.

مقدّمة: الجهاد بالمال امتحان صدق الإيمان:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾[1].

بدأ تعالى بأداة الحصر وهي إنّما وقد قال العلّامة الطباطبائيّ في تفسير الميزان: ... تفيد تعريفهم (أي المؤمنين) بما ذكر من الأوصاف (الإيمان بالله والرسول، وعدم الارتياب، والجهاد بالأموال والأنفس) تعريفاً جامعاً مانعاً، فمن اتّصف بها مؤمن حقّاً، كما أنّ من فقد شيئاً منها ليس بمؤمن حقّاً[2].

فتعني الآية، على هذا، حصر الإيمان الصادق بمن حاز هذه الصفات، ثمّ تشهد الآية في آخرها بكونهم صادقين بمعنى أنّهم صادقو الإيمان.

وعليه فإنّ لنا أن نستنتج أنّ الجهاد بالمال، وإنفاقه في سبيل الله أحد أركان الشخصيّة الإيمانيّة ومقوّم من مقوّماتها.

ولذا فلا عجب أن تأتي الروايات لتخرج الشحيح عن زمرة أهل الإيمان، ومن هذه الروايات ما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: **«ثلاث لا تكون في مؤمن، لا يكون جباناً، ولا حريصاً ولا شحيحاً»**[3]. وعليه فيمكن أن نقول: إنّ أحد الأمور والاختبارات

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٢٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص٢٠٣.

والامتحانات التي بها يمتحن إيمان الإنسان هو الإنفاق في سبيل الله؛ وبالمقابل فمن يخلص من صفة الشحّ هو من الناجين والناجحين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

محاور الموضوع

الله يأمر بالإنفاق:

لقد اهتمّت النصوص الإسلاميّة من كتاب وسنّة، إضافة إلى الشرع الحنيف، بمسألة الإنفاق، لما لها من بركات وآثار في البناء الفرديّ للإنسان المؤمن، وكما ذكرنا فإنّها من مقوّمات الشخصيّة الإيمانيّة وكذلك في البعد الاجتماعيّ من نواح اقتصاديّة بدواً ولكن في عمقها نفسيّة واجتماعيّة وإيمانيّة؛ فالإسلام معنيّ بالبناء الفرديّ للإنسان ومعنيّ بالبناء العامّ للاجتماع الإنسانيّ، فلا بدّ من التربية على كلّ خلق ذي أثر إيجابيّ في ترابط الجماعة واتّحادها الشعوريّ ووحدة كيانها وقوّتها ونقاوة وسلامة وصحّة اجتماعها.

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

وعن ذلك لنُصْغ لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

فمن جملة ما قالته الآية أنّ ترك سنّة الإنفاق في سبيل الله هو إلقاء بالأيدي إلى التهلكة. صحيح أنّ المورد هو الإنفاق الجهاديّ، لكن ندّعي أنّه غير مختصّ به، بل جاء الكلام فيه لأنّه أبرز المصاديق، فكما أنّ عدم الإنفاق في المجالات العسكريّة والأمنيّة سيؤدّي إلى سقوط الكيانات والدول والمجتمعات بيد الأعداء، فكذلك ترك الإنفاق في وجوه البرّ والمصالح العامّة سيؤدّي إلى بروز التفاوت والطبقيّة وتراكم الأضغان وتفكّك المجتمعات، وبالنتيجة سقوط الكيانات والدول أخلاقيّاً ثمّ عسكريّاً وأمنيّاً.

الشريعة والإنفاق:

في الشريعة أوامر بالإنفاق منها ما هو على نحو الوجوب، ومنها ما هو على نحو الاستحباب فمنها:

١ - زكاة الفطرة وفلسفتها تأمين حاجات الفقراء ليلة العيد ليشاركوا المجتمع فرحة العيد ويعيشوا بهجته.

٢ - الكفّارات.

٣ - الخمس.

٤ - الصدقة: ولها فلسفتها الأخلاقيّة وكذلك الاجتماعيّة،

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

ففي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[1].

فقد ذكرت الآية أموراً في النفقة، أن تكون في سبيل الله وأنّ دور المال أن يساعد مالكه على حسن المنزلة في الآخرة، وأن لا يقعد الإنسان عن طلب حظّه من المال، وأن لا يقتصر في النفقة على الواجب.

الحثّ على الإنفاق:

ورد الحثّ على الإنفاق في سبيل الله في كثير من النصوص الإسلاميّة كتاباً وسنّة ومنها:

١ – الإنفاق في طاعة الله أعظم نعمة:

عن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنّ إنفاق المال في طاعة الله أعظم نعمة...»**[2].

٢ – الصدقة من الباذل إلى يد الله:

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ما من شيء إلّا وقد وكّلت بقبضه غيري إلّا الصدقة، فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً»**[3].

(١) سورة القصص، الآية ٧٧.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٠.
(٣) الكافي، ج ٤، ص ٤٧.

٣ – أنفق قبل الموت والقيامة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ ﴾[١].

٤ – إنّما تنفق لنفسك:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾[٢].

٥ – الله يعوّض على المنفق:

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«ينادي مناد كلّ ليلة جمعة: اللهمّ أعط كلّ منفق خلفاً وكلّ ممسك تلفاً»**[٣].

٦ – تارك الصدقة ملعون:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«ملعون ملعون من وهب الله له مالاً فلم يتصدّق منه بشيء»**[٤].

٧ – أخبار في مدح السخاء:

إضافة إلى ما ذكر ثمّة روايات كثيرة في مدح السخاء فمنها ما عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: **«أتى رجلٌ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ النّاس أفضلهم إيماناً؟ فقال صلى الله عليه وآله: أبسطهم كفّاً»**[٥].

وكذلك ما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: **«الجنّة دار الأسخياء»**[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٢.
(٣) الكافي، ج ٤، ص ٦٨.
(٤) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٨٠.
(٥) الكافي، ج٤، ص٦٠.
(٦) مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ١٤.

خاتمة: من خُلُق الحسين عليه السلام السخاء:

روي أنّه: خرج الحسن عليه السلام إلى سفر فأضلّ طريقه ليلاً، فمرّ براعي غنم فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلمّا أصبح دلّه على الطريق فقال له الحسن عليه السلام: **«إنّي ماضٍ إلى ضيعتي ثمّ أعود إلى المدينة»** ووقّت له وقتاً وقال له: **«تأتيني به»**.

فلمّا جاء الوقت شُغِل الحسن عليه السلام بشيء من أموره عند قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة فصار إلى الحسين عليه السلام وهو يظنّه الحسن عليه السلام فقال: أنا العبد الذي بتّ عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات.

عرف الحسين عليه السلام أنّه الحسن، فقال الحسين عليه السلام له:

«لمن أنت يا غلام؟»

فقال: لفلان.

فقال عليه السلام: **«كم غنمك؟»**

فقال: ثلاثمائة، فأرسل إلى الرجل فرغّبه حتّى باعه الغنم والعبد فأعتقه ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال عليه السلام: **«إنّ الذي بات عندك أخي وقد كافأتك بفعلك معه»**[1].

(١) مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج١، ص١٥٣.

الليلة الثامنة

المحاضرة الأولى

تجلّيات حسينيّة في حركة المهديّ عجل الله فرجه الشريف

الهدف:

الحثّ على الاستفادة من الثورة الحسينيّة لبناء النّفوس اللائقة بالتمهيد للإمام المهديّ ونصرته.

تصدير الموضوع

«دخل الإمام الحسين على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعنده جلساؤه فقال: هذا سيّدكم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيّداً، وليخرجنَّ رجل من صلبه شبهه في الخلق والخُلُق يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

(١) التشريف بالمنن للسيّد ابن طاووس، ص ٢٨٦.

مقدّمة: الثورة المقدّسة:

لا شكّ أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومن كانوا معه بالظروف الملابسة لها رغم طغيان الجانب المأساويّ بل الكارثيّ عليها فهي أيضاً مظهر من مظاهر الشموخ والإباء والبطولة بل الفداء النادر للدّين والقيم الإسلاميّة بل الإنسانيّة ونحن لا ننكر أنّها مثلت حدثاً أليماً كان وما زال وسوف يظلّ مهيّجاً للعواطف ومستدرّاً للدموع وللحسرات والزفرات والأنين.

إلّا أنّنا عندما نقرأ في أكثر من زيارة علّمنا الأئمّة أن نزور سيّد الشهداء بها، هذه العبارة وخصوصاً في زيارة وارث:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبيّ الله السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله...».

ندرك أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام هي حركة ثوريّة لها رابط وثيق، بل هي امتداد لكلّ الثورات والحركات المقدّسة التي قادها الأنبياء والأولياء؛ فهي فعل ثوريّ مقدّس له جذوره الضاربة في القداسة إلى أبعد مداها ولها امتداد في حركة مصلح آخر الزمان الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف فحركة ونهضة وثورة الإمام الحسين عليه السلام هي إحدى أهمّ الثورات والحركات الممهّدة لثورة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف.

إضافة إلى ذلك فثمّة أوجه تشابه بين نهضة الحسين عليه السلام وثورته ونهضة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف وثورته ومن ذلك:

محاور الموضوع

١ – ثورة وتحرّر، أبطالها أحرار:

إنّ رفض بيعة الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد وتعليله بقوله: «**... ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[١]، يلاقيها ما ورد عن أئمّة الهدى في سبب غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه وهو: لكي لا يكون في رقبته بيعة، فكما كانت ثورة كربلاء ثورة أحرار في زمن العبيد وقادها سيّد الأحرار عليه السلام لكن في الدولة الإسلاميّة، كذلك فإنّ نهضة المهديّ وثورته هي ثورة الأحرار في عالم ملأه الطغاة ظلماً وجوراً يقودها سيّد الأحرار لكنّها عالميّة.

وكما أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يبايع حتّى لا يعطي أي شرعيّة لملك بني أميّة وخصوصاً يزيد؛ كذلك فإنّ الإمام المهديّ أضيف إلى أسباب عدم بيعته للظالم أمانة دماء الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين لكيلا يبايع ظالماً.

٢ – معركة الإسلام والإنسانيّة:

ممّا جاء عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «**... وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد**»[٢].

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٢٦.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام بخروجه رافضاً البيعة ليزيد وهو بقيّة أهل الكساء وسبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجد بدّاً من أن يضحّي بنفسه وصحبه وعياله حتّى يسلب الشرعيّة عن حكم الطاغية الباغي. وذلك حفظاً للإسلام وحتّى لا يكون على الإسلام السلام.

فهو عليه السلام أبقى بذلك الجهد والجهاد والشهادة والأسر والسبي جسد الإسلام وروحه بل أمدّه بأسباب البقاء.

والإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف سيعمل على تحرّر الإنسانيّة وبناء مجدها ليملأ جوانب وجودها عدلاً وقسطاً بعد الظلم والجور، وذلك على أساس الإسلام.

فلولا دم الشهادة الحسينيّة ما بقي في الإسلام بقيّة حياة حتّى ينفذ وعد الله لنبيّه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ...﴾[1].

وصحّ القول إنّ الحسين عليه السلام خاض في زمنه معركة الإسلام للإبقاء عليه وعلى معالمه، والإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف سيخوض ويقود معركة الإنسانيّة متّكلاً على الإرث الحسينيّ وعلى أساس الإسلام الذي استمدّ بقاءه من دم الشهادة الحسينيّة.

٣ - المظلوميّة وتحقيق الأهداف المقدّسة:

لا يختلف اثنان على أنّه إنّما كان لحركة الإمام الحسين عليه السلام وقضيّته هذا الوقع وهذا الأثر المتجاوز للزمان والمكان بسبب

(١) سورة التوبة، الآية ٣٣.

وضوح مظلوميّته، وهذا البعد أوضح الأبعاد وأكثر الأبعاد قدرة على الجذب والاستقطاب إلى الحسين عليه السلام ومبادئه، نعم لقد كان الحسين عليه السلام بطل التوحيد، وبطل الأحرار، وبطل الأباة لكنّه أيضاً أسير الكربات، غريب الغرباء، مظلوم وعطشان كربلاء، ولذا أمرنا أئمّة آل البيت أن نحمل قضيّة مظلوميّة الحقّ وأهله بإحياء ذكراه في كلّ فرصة، لاسيّما في العاشر من المحرّم من كلّ عام، ولتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل لنوافي يوم الإمام المهديّ عجل الله فرجه وقد تربّينا في كنف الحسين عليه السلام وصنعنا على عينه كما علّمنا الإمام الرضا عليه السلام إذ يقول: **«يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين، فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً»**[1].

فلا غرو أن يكون شعار أنصار المهديّ عجل الله فرجه يا لثارات الحسين ويكون الراسخ في النفوس أنّه عجل الله فرجه: **«الطالب بدم المقتول بكربلاء»** كما في دعاء الندبة.

فحركة الإمام المهدي عجل الله فرجه تقوم على استنهاض النّاس على خلفيّة المظلوميّة الحسينيّة والإنسانيّة.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٦.

خاتمة:

في ضوء ما سلف فإنّنا نستطيع القول إنّ الإمام الحسين عليه السلام بفدائيّته وإباء نفسه وجهاده وشهادته المقدّسة قدّم للإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف المنبت الصالح للممهِّدين له ولأنصاره.

وإضافة إلى كون الإمام المهديّ امتداداً جسديّاً للإمام الحسين عليه السلام فكذلك هو امتداد روحيّ له ولثورته وحركته ونهضته.

وأخيراً نقول: إنّنا عندما لا نكون لائقين بنصرة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف بسبب ذنوبنا فمعنى ذلك أنّنا نطيل فترة غيابه ونزيد من غربته ومظلوميّته.

فالحقيقة أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف هو الذي ينتظرنا لنكون جاهزين لنصرته والجهاد بين يديه حتّى تحقيق الأمل المنشود في اليوم الموعود.

المحاضرة الثانية

وجوه جميلة للبلاء

الهدف:

بيان أنّ الابتلاء والاختبار سنّة الحياة الدّنيا وبيان الحكمة منها مع كيفيّة التعامل معها.

تصدير الموضوع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1].

(١) سورة الملك، الآية ٢.

مقدّمة: الاختبار والبلاء سنّة إلهيّة:

لقد وردت عبارة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وما في معناها كثيراً في القرآن الكريم جاءت لتؤكّد بهذا التكرار أنّ الاختبار والامتحان هو قانون وسنّة إلهيّة شاملة لكلّ النّاس طالما أنّهم في دار التكليف دار الدّنيا فالإنسان جُعل في دار الدّنيا لا لأجل الدّنيا فإنّ الدّنيا حياة ونشأة من نشآت الوجود الإنسانيّ يعبرها الإنسان في مدّة محدودة وقصيرة ليصير بعدها إلى دار مستقرّه ودار خلوده والدّار التي هي آخر منازله والمملوءة حياة: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[1].

ومن طبيعة الدّنيا أنّها حفّت بالشهوات والمكاره، وأنّ كونها كذلك لتلائم الحكمة من خلق الإنسان.

فهذا النظام الذي اسمه الدّنيا والذي نسمّيه الكون يتّجه إلى نهايته وفنائه، فهو منذ وجوده كان ليكون مؤقّتاً وإلى أجل مسمّى عند الخالق تعالى، وبعده سيكون عالم آخر له نظامه المختلف، فهذا العالم غير قابل للبقاء والخلود فأولى أن لا يخلد ولا يبقى فيه عمّاره وسكّانه والمستخلفون فيه، أمّا العالم الآخر فمعاييره ونظامه تُلائم كونه دار خلود وبقاء، وعلاقته بهذه الدّنيا علاقة النتيجة بالسبب، فهنا العمل وهناك الأثر، أي الجزاء الحقيقيّ، فالله قد ربط بين العالمين والنشأتين، من جملتها أنّه أقام علائق

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

بين العمل في الدّنيا والجزاء في الآخرة.

وعندما نتحدّث عن كون الدّنيا دار عمل وليست دار جزاء حقيقيّ فنعني بذلك أنّ الدّنيا دار ليحصل الإنسان على أكمل وأفضل نتائج وجوده، فيها يحتاج إلى عمل وجهاد وصبر وتضحيات ومعاناة وتحمّل ليكون من الرابحين والفائزين والمفلحين، ولعلّ الله أشار إلى هذا بقوله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1].

محاور الموضوع

فلسفة البلاء أو الاختبار الإلهيّ:

قد يتبادر إلى ذهن البعض نتيجة أنسه بالأعمال البشريّة والصفات المحدودة للبشر أنّ من يختبر يهدف إلى رفع جهله والإبهام. إلّا أنّ ذلك ليس هو المراد عندما ينسب الابتلاء إلى الله تعالى، لأنّه تعالى لا يعتريه جهل ولا يلفّ شيئاً دونه الغموض والإبهام، فالأشياء والأفعال حاضرة عنده معلومة كما أنّها موجودة بل حتّى قبل وجودها؛ وبالتالي فمعنى الابتلاء الإلهيّ للبشر هو تكليفهم بأمور الغرض منها إخراج ما في نفوسهم من استعدادات وقابليّات حسنة إلى مقام الفعل أي لتصبح أفعالاً

(١) سورة العنكبوت، الآية ٢.

خارجيّة لهم وصفات فعّالة في نفوسهم.

ولنقرّب المفهوم نقول: إنّ المزارع عندما ينثر البذور الصالحة في الأرض القابلة للإنبات والصالحة إنّما يلقيها لكي تستفيد هذه البذور ممَّا تكتنزه الأرض من موادّ تصلح لحياة هذه البذرة وصيرورتها نبتة تستفيد من هذا المخزون لتنمو وتزهر وتثمر، لكن ذلك لا يحصل ما لم تصارع هذه البذرة كلّ المعوّقات لنموّها ونباتها وتتجاوز الصعاب وتقاوم الحوادث التي تشكّل تحدّيات لوجودها ولنموّها كالرّياح والبرد والحرارة المرتفعة.

فالبلاء هو وسيلة لتفجير طاقات البشر وتطوير قابليّاتهم ليترقوا في الدّنيا ويتطوّروا، وكذلك ليبنوا أنفسهم بما يجعلهم من أهل الخلود في دار النعيم المقيم. يقول عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام: **«... وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال التي بها تستحقّ الثواب والعقاب»**[1].

آثار وبركات البلاء:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2] فهذه الآية تقول: إنّ البلاء والابتلاء والاختبار كما يكون بما تكره النفوس وما يؤلمها وهو المفهوم عند النّاس كذلك يكون بالمحبوب لها والمرغوب عندها من

(١) نهج البلاغة (الكلمات القصار)، رقم ٩٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

نعم ومناصب. ولكنّ الله تعالى يقول: إنّ ذلك **«فتنة»** أي تمييزٌ للنّفوس، إذ إنّ بعض النّفوس يزلزلها النعيم ويخرجها عن الصراط المستقيم، أو يربّي فيها الشكر ومعرفة النّعمة والمنعم وأخرى بالعكس، وقد ذكرت الروايات آثاراً وبركات للبلاء والابتلاء جمعتها الرواية التالية عن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنّ البلاء للظالم أدب وللمؤمن امتحان وللأنبياء درجة»**[1].

ومن الآثار والبركات تفصيلاً:

١ – في البلاء ألطاف خفيّة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ بلاياه محشوّة بكراماته الأبديّة ومحنه مورثة رضاه وقربه ولو بعد حين»**[2].

٢ – تربية وعناية إلهيّة لأجل التكامل:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ الله يغذّي عبده المؤمن بالبلاء كما تغذّي الوالدة ولدها باللّبن»**[3].

٣ – للتذكير به تعالى ولقمع التوثّب للكبر:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض والموت والفقر، وكلّهن فيه وإنّه لمعهن لوثّاب»**[4].

(١) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٣٨.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٠٠.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٩٥.
(٤) الدعوات للراونديّ، ص ١٧١.

٤ – تمحيص الذنوب:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدّنيا بمحنتهم لتسلم بها طاعتهم ويستحقّوا عليها ثوابها**»(١).

٥ – لعدم الركون إلى الدّنيا والرغبة في لقاء الله تعالى:

عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: يا دنيا تمرّري على عبدي المؤمن بأنواع البلاء، وضيّقي عليه في معيشته ولا تحلولي فيركن إليك**»(٢).

٦ – موجب لمحبّة الله وعلامة عليها:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وثجّه بالبلاء ثجّاً فإذا دعاه قال: لبّيك عبدي، لئن عجّلت لك ما سألت إنّي على ذلك لقادر ولكن ادّخرت لك فما ادّخرت لك خير لك**»(٣).

كيف ننجح في اختبار البلاء والمحن:

يحتاج الإنسان في مواجهة محن الحياة وبلاءاتها المتعاقبة إلى جملة أمور نختصرها بالتالي:

١ – عدم الغفلة عن حقيقة الدّنيا وكونها دار بلاء وعمل وليست

(١) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٣٢.
(٢) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٥٢.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣.

دار نعيم، فلا يتوقّعنّ منها غير ما وجدت لأجله.

٢ – الطمأنينة والثبات وعدم الجزع: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء»**[٢].

٣ – الصبر والتحمّل وصولاً إلى التسليم بل إلى حبّ تدبير الله.

عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«لن تكونوا مؤمنين حتّى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة وذلك أنّ الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء»**[٣].

٤ – حسن الظنّ بالله تعالى: عن صادق أهل البيت عليهم السلام فيما أوصى الله لموسى عليه السلام: **«... وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصدّيقين عندي»**[٤].

٥ – اغتنام الوقت والعمر: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٥].

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٥٦ و١٥٧.
(٢) نهج البلاغة، خطبة المتّقين.
(٣) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٣٧.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٦٢.
(٥) سورة مريم، الآية ٣٩.

خاتمة: قدوة الصامدين:

يروى أنّه لمّا حمل عليّ بن الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه قال يزيد لعنه الله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «**ليست هذه الآية فينا، إنّ فينا قول الله عزّ وجلّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾**»[1].

انظر كيف يحاول الطاغية أن يستغلّ الفرصة لإسقاط الروح المعنويّة للإمام السجّاد عليه السلام؛ وكيف يعطينا الإمام درساً في الثبات وعدم السقوط أمام محاولات الأعداء أن يستغلّوا ما يصيبنا من مصائب ليهزمونا نفسيّاً ويسقطونا معنويّاً. والثبات المعنويّ والنفسيّ نوع من أنواع الانتصار كما الانتصار المادّيّ.

(١) سورة الحديد، الآية ٢٢.

المحاضرة الثالثة

ردّ المظالم

الهدف:

بيان أثر المظالم في الآخرة والحثّ على ضرورة الخروج منها لتكمل التوبة.

تصدير الموضوع

روي أنّ قائلاً قال بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام: استغفر الله فقال له عليه السلام: **«ثكلتك أمّك! أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين وهو اسم واقع على ستّة معان:**

أوّلها الندم على ما مضى، الثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله سبحانه ليس عليك تبعة، الرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفر الله!»[1].

مقدّمة: ردّ المظالم شرط في قبول التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ...﴾[2].

لقد استخدم الله في هذه الآية صيغة المبالغة من اسم الفاعل تائب وهي توّاب وجعلها على صيغة جمع المذكّر السالم. فالتوّاب معناه هو المبالغ في توبته الذي قد يكون كثير التوبة بمعنى كثير الرجوع إلى ربّه عند الذنب طلباً للمغفرة والعفو والستر. وقد يكون هو المبالغ بمعنى الشديد التحرّي لأعماله والشديد الطلب لوجوه التوبة منها، فيتوب من صغيرها وكبيرها، ويكون في توبته متحرّياً أن تكون تامّة وكاملة بمعنى واحدة لجميع شرائط الصحّة والقبول بل حتّى الكمال، وذلك لتكون تامّة الأثر من حيث محوها للذنوب وإيجابها العفو والمغفرة بل إيجابها أكمل ثمارها

(١) نهج البلاغة، الموعظة رقم ٤١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

وهي التحوّل من مبغوضيّة المذنب على الله إلى درجة المحبوبيّة منه تعالى.

ولن يكون ذلك إلّا بفعل ما يمحوها من صحيفة الأعمال، ويزيلها من نفسه ومن نفوس النّاس.

ولذا كان إضافة إلى ركنيها وهما: النّدم على الذنوب والعزم على تركها وعدم العود إليها أبداً، شرائط كمال وشرائط قبول ومن شرائط القبول منضمّاً إلى أداء حقّ الخالق أداء حقوق المخلوقين.

فقد يكون الذّنب المُرتَكَب هو مظلمة أوقعها الإنسان على أخيه الإنسان، فعليه الخروج من هذه المظلمة بأداء حقّ المخلوق إليه.

لماذا علينا ردّ المظالم؟

والجواب إضافة إلى كونه شرطاً في قبول التوبة هو أنّ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان من الذنوب التي لا يغفرها الله، بل هي موكولة إلى صاحبها فإمّا أن يسامح فتغفر أو أن لا يسامح فتبقى ويكون الاقتصاص يوم القيامة يوم ينادي الله تعالى الخلق: **«أنا الله لا إله إلّا أنا الحكم العدل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقّه ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات**

والسيّئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة عندي ظالم ولا أحد عنده مظلمة إلّا مظلمة يهبها صاحبها وأثيبه عليها، وآخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدّنيا وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً...»[1].

فإذاً علينا أن نتخلّص من هذه المظالم قبل ذلك الموقف خصوصاً أنّها من الذنوب التي أوكل أمرها إلى أصحابها روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه عندما سئل أن يبيّن الذنوب المغفورة من غيرها قال: **«أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدّنيا، فالله أحكم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين، وأمّا الذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم، ولو كفّ بكفّ ولو مسحة بكفّ... فيقتصّ الله للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم إلى الحساب... وأمّا الذنب الثالث، فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة، فأصبح خاشعاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب»**[2].

(١) الكافي، ج٨، ص ١٠٤.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣.

أنواع المظالم:

يمكن لنا أن نقسّم الظلم الواقع من بعضنا على بعضنا الآخر إلى قسمين رئيسيّين هما:

أ - المظالم المعنويّة:

والتي قد يسمّيها بعضهم نفسيّة، ومن أمثلتها الإهانة والتحقير والاستخفاف وإدخال الحزن والأسى إلى الآخرين من خلال الألفاظ المسيئة والألقاب السيّئة والعبارات النابية والجارحة، وأحياناً يكون ذلك بالمواقف السلبيّة كاللامبالاة وعدم القيام بآداب ولياقات العلاقات الإنسانيّة، التي ندب إليها الإسلام أو أقرّها العرف وقد ذكر القرآن منها التنابز بالألقاب والسخرية وغيرهما وهتك الأستار وكشف الأسرار والتعيير وغير ذلك ولذا جاء في الروايات أنّه **«من كسر مؤمناً فعليه جبره»**[1].

فتصحيح هذا اللون من الظلم يكون بردّ الاعتبار إلى المظلوم والاعتذار إليه وطلب السماح والعفو.

ب - المظالم الماديّة:

وهي المظالم التي ينال بها البعض من مال غيره سواء بالسرقة أو الغصب ومنها حبس الحقّ عنه والاستئثار عليه كما يحصل بين الشركاء في الإرث، وقد يكون بالحيلولة بين المرء وماله، ومن مصاديق التعرّض لمال الآخرين إعابته بكسر أو غير ذلك ممّا

(١) الكافي، ج ٢، ص ٤٥.

يقلّل قيمته أو يفقده فائدته.

ومنها التعرّض لجسد الإنسان الآخر ولو بخدش أو لطم سواء أوجد لوناً أو غيره، فإنّ لذلك أثرين أحدهما نفسيّ ملحق بالأوّل، لأنّ في الضرب إهانة، أضف إلى الأثر الجسديّ الذي قد يكون له دية ولا بد من لَفْتِ النظر إلى أنّ المظالم خصوصاً الماديّة المتعلّقة بالمال تتعلّق بذمّة الإنسان حتّى ولو كان عند ارتكابه لها صغيراً دون سنّ التكليف، فصحيح أنّه غير مكلّف ولا عقاب عليه من هذه الجهة إلّا أنّ ذمّته عندما يبلغ تظلّ مشغولة لكونه ضامناً لما أتلف أو أعاب فلا بدّ له من ذلك.

بادر إلى ردّ المظالم:

على الإنسان الذي يريد أن يكون من زمرة التوّابين الذين يحبّهم الله أن يجدّ ويجتهد في أداء حقوق النّاس، وردّ المظالم، فليعمد كلّ واحد منّا إلى أن يخلو بنفسه ليحاول أن يحصي ما ظلم به غيره، ومن هم الذين ظلمهم من النّاس، فإن عرف المقدار والشخص حاول إيصال الحقّ إليه، وإن عرف الشخص ولم يعرف المقدار عمل على التسامح منه وإرضائه، وإن عرف المقدار ولم يعرف الشخص تصدّق بالمقدار عن نيّة صاحبه، وإن جهل الأمرين حاول التخلّص بما يضمن به براءة ذمّته؛ ولذا نجد أنّه في ثقافتنا أنّ الوصايا عادة ما تشتمل على بند يحمل عنوان

ردّ المظالم، وهذا يحتاج إلى إذن الحاكم الشرعيّ لأنّه من مجهول المالك.

خاتمة:

أحياناً قد يصعب علينا الاتصال بصاحب الحقّ لإعطائه حقّه أو طلب المسامحة منه لوجود محذور يؤدّي إلى أمور خطيرة كإيجاد فتنة ما أو إيجاب قطيعة رحم فيمكن حينها البحث عن وسيلة توصل حقّه إليه دون أن يتعرّف صاحب الحقّ على غاصب حقّه، وقد يكون أحياناً سبب ذلك هو الخشية على المنزلة الاجتماعيّة للغاصب وكون ذلك موجباً للفضيحة والهتك أمام النّاس، فحينها على الإنسان أن يوازن بين الأمرين ليرى أيّ الأمور أهمّ وأخطر.

لكن لنضع نصب أعيننا أنّه مهما كانت فضائح الدّنيا فإنّ فضيحة الآخرة أعظم، فضلاً عن أن نجعل تواضعنا باعترافنا وإقرارنا للمظلوم بظلمنا له واعتذارنا له وذلّ موقفنا أمامه وسيلة نربّي فيها أنفسنا ونريها عبره مآل ظلمها وتجاوزها حتّى لا تعود إلى الظلم أبداً.

الليلة التاسعة

المحاضرة الأولى

زينب والحسين عليهما السلام بَطَلا التوحيد

الهدف:

بيان أهمّيّة الحرب النفسيّة والثقافيّة والإعلاميّة، وخطورتها وإيراد نماذج من ذلك، والإضاءة على حقيقة كربلاء وأنّها معركة التوحيد وتوضيح حقيقة بطولة زينب في ميدان التوحيد.

تصدير الموضوع

قالت زينب عليها السلام: «**ما رأيت إلّا جميلاً...**»[1].

(١) مثير الأحزان، ص ٧١.

مقدّمة: حروب غير عسكريّة:

في الوقت الذي قد تكون الحرب العسكريّة واضعة أوزارها فلا قتل ولا قتال ولا جبهات مشتعلة؛ نجد أنّ ميادين أخرى تشهد قتالاً ومناورات وعلى الأقلّ مناوشات. وهذه الميادين التي يكون الصراع فيها محتدماً والقتال فيها ضارياً هي ميادين تتّسع لتشمل كلّ مجالات الحياة وأبعادها، فثمّة حروب اقتصاديّة، وثمّة حروب إعلاميّة، وأخرى ثقافيّة وغيرها؛ على أنّ هذه الحروب قد تكون مرافقة للحرب العسكريّة، إلّا أنّ قرقعة السلاح وأخبار القتال تصرف الانتباه عنها، ولكنّها تكون موجودة وبشراسة، وأيضاً قد تكون هذه المعارك متأخّرة عن المعركة العسكريّة. وتترتّب عليها خصوصاً من الجهة المنتصرة.

وأدوات هذه المعركة هي وسائل الإعلام والاتصال والمنابر والمنتديات والأهداف للكرّ والفرّ، في هذه الميادين وعلى صهوة هذه الوسائل تكون إيجاد الخوف والرعب في المجتمعات الحاضنة للمقاتلين والتأثير في معنويّات المقاتلين، والتأثير في إرادتهم وجعل خطاهم ثقيلة باتّجاه الجبهات وفي العمليّات القتاليّة؛ وإيجاد حالة من التشكيك في حقّانيّة القضايا التي لأجلها يقاتلون، وأحياناً إيجاد عدم الثقة بالقدرة على الانتصار وتحقيق الأهداف، وهذه هي الحرب النفسيّة، وثمّة أمر آخر هو التأثير في قناعات الفئة المقابلة لتصبح شيئاً فشيئاً من حيث تشعر أو

لا تشعر متبنّية لأفكار وعقائد وتخطو في طريق تحقيق أهداف الأعداء. وهذه الحرب كما نرى من أخطر أنواع الحرب وأشدّها فتكاً وبناءً على ما تقدّم فالمواجهة في هذه الميادين جهاد كما في جبهات المواجهة العسكريّة، ففيها يتمّ الدفاع عن القيم، والعقائد والأخلاق والفكر والثقافة، كما يتمّ في الجهاد العسكريّ الدفاع عن الأرض والثروات والنّفوس.

بل إنّ رسول الله ﷺ جعل غاية الحرب العسكريّة البعد الثقافيّ وقد نقل عنه ﷺ قوله: **«أنا أقاتل على التنزيل وعليّ يقاتل على التأويل»**[1].

فالتوحيد أساس حركة رسول الله ﷺ بل أساس حركة كلّ الرسل، وكذلك فإنّ قتال الإمام عليّ للناكثين في معركة الجمل، وللقاسطين في صفين وللخوارج في النهروان كان لأجل التوحيد ودفاعاً عنه.

محاور الموضوع

الحسين عليه السلام يخرج لأجل التوحيد:

لقد بلغ السوء في حكّام بني أميّة أن تجرؤوا للعبث في الإرث النبويّ من سنّة وسيرة، وحاولوا تسخير الوحي لخدمتهم،

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص ١٩.

فاشتروا ذمم بعض الرواة لإختلاق الأحاديث التي تروّج لباطلهم وتجعل لهم القداسة في نفوس الأمّة، فغدا معاوية خال المؤمنين، وفي بعض الأحاديث فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«الأمناء ثلاثة جبرائيل ومعاوية وأنا»**[1].

فليس من العجب أن يصبح قاتل حجر بن عديّ وأمثاله من النجباء والعلماء كعمّار بن ياسر وغيرهما أمين الوَحْي. وزاد الطين بلّة أنّ معاوية أكمل مهمّة العبث بالإسلام وعقائده وقيمه ومفاهيمه فأوكل أمر الأمّة إلى ابنه الفاسق الفاجر قاتل النّفس المحترمة.

ليعبّر الإمام الحسين عليه السلام عن ما سينتج من هذه الجريمة: **«على الإسلام السلام إذ بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»**[2].

وهذا يعني أنّ خروج الحسين عليه السلام بعياله وخيرة أصحابه وأهل بيته إلى ساحات المواجهة والقتال إنّما كان لأجل دين التوحيد ولأجل بقاء الأمّة أمّة التوحيد؛ وليبقى المجتمع الإسلاميّ مجتمع توحيد...

والشاهد على ما نقول أنّ حكّام بني أميّة وصل بهم الأمر إلى حدّ أن يدعو بعض ولاتهم إلى أن يطوف النّاس حول بيت عبد الملك بن مروان وهو خير لهم من الطواف حول قبر رسول

(١) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٣٠، والبداية والنهاية لابن كثير، ج٨، ص١٢٩.
(٢) حياة الإمام الحسين، القرشي، ج٢، ص٢٥٧.

الله ﷺ، وإنّ مقام عبد الملك عند الله خير من مقام رسول الله ﷺ بدعوى أنّ خليفة المرء خير من رسوله[1].

فالحسين عليه السلام كان يرى ما هو أسوأ من ذلك فيما لو لم يخرج ثائراً، ومواجهاً فمستشهداً.

زينب بطلة في ميدان الجهاد الثقافيّ

لقد تبيّن ممّا سلف أنّ المعركة معركة توحيد، أي معركة عقيدة وفكر ومعركة قيم.

وما كادت الحرب تنجلي عن شهادة بطل الإباء، وبطل التضحية والإيثار، ورمز الحقّ والعدالة ومن معه من الأبطال الأخيار الأفذاذ، وبمجرّد وصول السبايا إلى دار الإمارة حتّى أطلق ابن زياد ربيب النّفاق وجنديّ الضلال رميته المشهورة في الحرب النفسيّة، والثقافيّة والعقائديّة أراد بها أوّلاً قلب زينب عليها السلام والنّاس من حولها لينال من مقام أهل بيت النبوّة عند الله والمتأصّل في نفوس النّاس، فقال للعالمة غير المعلّمة: كيف رأيت صنع الله بأخيك وبأهل بيتك؟[2].

وهذا القول منه (لعنه الله) أعاد المعركة إلى حقيقتها، صحيح أنّه أراد بذلك نفي المقام المقدّس والسامي للحسين عليه السلام ولآل البيت، وكذلك التشكيك بحقّانيّة قضيّة الثورة الحسينيّة، إلّا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٥، ص٢٤٢.

(٢) اللهوف لابن طاووس، ص٩٤.

أنّ ثمّة أموراً فيه تُصيب مفاصل في العقيدة الإسلاميّة.

فقامت صلوات الله عليها لتردّ هذه الرمية وهذه الضربة بهجوم مضادّ، سلاحه الكلمة ومداده اليقين ومَعين حسن الظنّ بالله تعالى فقالت: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أمّك يا بن مرجانة**».

كلمات هدمت بهنّ بنت بيت الوحي، وسليلة أبطال التوحيد، بنيان النفاق والانحراف الأمويّ المتجلّي بما جرى على لسان ابن زياد ويمكن أن نجد في ردّها ما يلي من المفاهيم:

١ - التوحيد والجمال متلازمان:

صحيح أنّ مقتضى التوحيد الأفعاليّ أنّ الفاعل والمؤثّر الوحيد هو الله، فإذا كان الفاعل الوحيد هو الله وحصل ما حصل في الطفّ فلا بدّ من وجه جميل للفعل، فزينب رأت بعين اليقين الجمال الإلهيّ المتجلّي من الملكوت إلى كلّ العوالم بما فيه الدنيا، فكلّ هذا الجمال هو تجلٍّ لجماله تعالى فإنّ الله كامل الجمال وكامل الجلال ولا يصدر عنه إلّا ما هو جميل فلو كان ما كتبه على إنسان الحياة فهو جميل، وإن كان ما كتبه الموت أو القتل فلا بدّ أنّه جميل، فالغنى والصحّة والقوّة جمال، وعكسها من فقر ومرض وضعف أيضاً جمال، ويمكن تصوير جمال الصنع الإلهيّ بأنّ الحسين والشهداء وكذلك السبايا كانت نفوسهم

منطوية على بحر من الجمال من التوحيد إلى حسن الظنّ به تعالى إلى الاستعدادات للتضحية والإيثار والشجاعة والبطولة وغيرها، فجاءت أحداث كربلاء لتفتح لهذا العذب الزلال طريقاً ليتدفّق راوياً عطش النّفوس على مدى الأزمنة إلى نماذج وقدوات.

وثانياً لقد شكّل الحدث في عاشوراء ساحة لأمرين، الأوّل: هو إظهار هذه الجواهر البرّاقة والكواكب الزاهرة في سماء البشريّة، والثاني: كان الحدث ليشكّل مكاناً يعرض مبدعها ومكوّنها هذه الجواهر ليستقطب بها النّفوس، لتصنع على عينه تعالى على يدي الحسين عليه السلام.

وقد عبّرت عن ذلك بقولها: **«هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم»**.

٢ - من يتحمّل البعد السلبيّ؟

بحسب عبارة السيّدة زينب عليها السلام البعد السلبيّ أمر ظرفيّ ومؤقّت ومحلّه تلك البرهة من الزمن وأشارت إلى ذلك لإزعاج ابن زياد عن نومه وإيقاظه من سكرته فقالت: **«وسيجمع الله بينك وبينهم»**.

أي أنّه سينتهي هذا اليوم دنيويّاً ولكن ستبقى آثاره أخروياً. وبالتالي ثمّة عالم هو عالم المحاججة والمخاصمة، وهو عالم ظهور الحقائق، وهناك يُنصف المظلوم وينتصف من الظالم.

فلا تظنّن حيث فعلت ما فعلت أنّك صاحب حقّ وأن بآل البيت على الله هواناً.

ودفاع زينب هنا كان عن العدل الإلهيّ، كما كان الدفاع في الفقرة الأولى عن التوحيد.

خاتمة:

لقد كان الحسين عليه السلام بطلاً للتوحيد، وكذلك كانت زينب بطلة للتوحيد، وقد أكملت عليها السلام ما بدأه أخوها في المدينة ثمّ مكّة ثمّ كربلاء بكلماته ثمّ بدمائه، أكملته بمعاناة الثكل ثمّ السبي ثمّ بكلماتها وخطبها، ولقد انتصرا جميعاً في هذا الميدان، ولذا بقي الإسلام وبقيت شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

وهذا ما أشار إليه الإمام السجّاد لمن سأله، من انتصر في كربلاء؟ حيث قال: **«إذا جاء وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب»**[1].

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ٦٦.

المحاضرة الثانية

خطر وعّاظ السلاطين

الهدف:

بيان دور العلـم والعلماء وفضلهم، وخطر وعّاظ السلاطـين وأساليبهم ودور بعضهم لا سيّما شريح في مواجهة الثورة الحسينيّة.

تصدير الموضوع

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: إتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»**[1].

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٦.

مقدّمة: بالعلم تنقشع الظلمات:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

لقد حدّد الله في هذه الآية من سورة الجمعة المباركة مجموعة وظائف كلّف بها النبيّ لتحقيق الهدف الإلهيّ للبعثة وهو إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، ومن هذه المقدّمات الموصلة إلى هذا الهدف تعليم النّاس الذي به يخرجون من ظلمات الجهل إلى نور العلم، بإنارة عقولهم، كما عمل على تربية النّفوس لإنارة هذه النّفوس وقلوبها؛ فهناك ظلمات أخرى متأتّية من أمراض تعتري الأفراد والجماعات من الانحرافات السلوكيّة، والانحرافات في ممارسة الاجتماع الإنسانيّ، من العصبيّات وغير ذلك.

إلّا أنّ أسوأ الظُّلمة ظُلمة القلب، وأساس كلّ ظلمة، ظلمة العقل، فإذا تشوشّت الأمور عند العقل فإنّ الإنسان يفقد وضوح الصورة، خصوصاً بالنسبة إلى الله سبحانه تعالى، فإنّه يفقد الصورة الصحيحة والواضحة للإنسان ودوره ووظيفته. فحينها لا بدّ أن يكون سيره على غير الطريق الموصل إلى الأهداف المتوخّاة من أصل وجود الإنسان، وهو معرفة الله وعبادته؛ كما أنّ من أهداف الإسلام نظم الحياة والعلاقات وتقديمها بما يجعل الحياة

(١) سورة الجمعة، الآية ٢.

ظرفاً مملوءاً بالنّور من خلال إشراقة العلم المتحوّل عملاً وسلوكاً، فلا بدّ من التعلّم لمعرفة المنظومة الضابطة لسلوك الإنسان فرداً وجماعة بما يجعلهما مستقيمين في علاقاتهم وأعمالهم، وأخلاقهم ومسؤوليّاتهم في طريق السعي نحو الأهداف؛ وعليه فالعلم إنّما يكون للعمل هنا، وحتّى العلم الذي يعنى بمعرفة الله، هذا العلم الثاني هو وسيلة تحوّله إلى عمل؛ والمشكلة دائماً كانت في أحد أمرين: إمّا تخبّط الإنسان في الجهل وظلماته قاعداً عن تحصيل العلم، وإمّا في تخلّف العمل عن العلم وهو نحو آخر مموّه شيئاً عن التخبّط في ظلمات الجهل.

محاور الموضوع

من هم معلّمو البشر؟

لا شكّ كما قدّمنا أنّ أصل هذه المسؤوليّة وهذه الوظيفة تقع على عاتق الأنبياء والأولياء عليهم السلام ولكنّهم قلّدوها العلماء كما في مدلول الحديث الشريف: **«العلماء ورثة الأنبياء»**[1].

فعلى عواتقهم تقع مسؤوليّة بثّ العلم وترويجه، وكذلك عليهم مسؤوليّة ضرب النموذج العمليّ لمن يتحمّل هذا العلم، ليكونوا نماذج بسلوكهم وأخلاقهم تدعو إلى الله والحقّ. وكان

(١) أمالي الصدوق، ص ١١٦.

حرام عليهم كتم العلم والقعود عن بيانه عند الحاجة إليه. وعليهم مسؤوليّة إمساك قلوب النّاس عند هبوب رياح الضلال والشكوك.

وكلّ ذلك يفترض قرنه بالعمل كما جاء في الحديث الشريف: **«العلم يهتف بالعمل فإن أطاعه وإلّا ارتحل عنه»**[1].

وممّا جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إذا سمعتم العلم فاستعملوه، ولتسع قلوبكم فإنّ العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه فإن خاصمكم الشيطان فأقبلوا عليه بما تعرفون، فإنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً»**، فقلت وما الذي نعرفه؟ قال عليه السلام: **«خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله عزّ وجلّ»**[2].

وعّاظ السلاطين:

ولقد أضاءت سماء العلم والعمل، والتبليغ، بكواكب من العلماء الأفذاذ العاملين بعلمهم، والواعظين بسيرتهم، فغدوا قدوات في طريق الهدى يتمثّلها النّاس؛ لكن ثمّة آخرون سقطوا وقد ذكر لنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة والقرآن نماذج من هؤلاء المنحرفين من ذوي العلم، وممّا جاء في التنزيل في حقّ أحدهم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٤.
(٢) أصول الكافي، ج١، ص٤٥.

أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ﴾[1].

وخلاصة ما أرادته الآيات عن هذا الذي كما يروى أنّ اسمه بلعم بن باعورا كان من قوم موسى وبلغ من المقام أنّه كان يعرف بعضاً من أحرف الاسم الأعظم لكنّ الشيطان أوغر قلبه حسداً فأراد أن يدعو على وليّ الله أو نبيّ الله فأصبح كما وصف القرآن.

والآيات تقول إنّه كان عالماً لكنّه في لحظة خرج لبوس علمه ومقتضى معرفته بأن أراد بها ما يرمز إليه الإخلاد إلى الأرض من طلب الدنيا بعلمه ومعرفته، مع أنّ من شأن هذا العلم أن يرفعه في درجات السموّ إلى العلياء، بمعنى آخر أطاع ترابيّته وعصى روحانيّته.

ومن أهمّ ما ابتلي به الإسلام ولا يزال طائفة من حاملي العلم موسومون بأنّهم علماء البلاط ووعّاظ السلاطين الذين يقومون بتسخير علومهم في خدمة الحكّام والظلّام.

حقيقة حركة وعّاظ السلاطين:

١ - خداع النّاس بالعلم:

إنّ للعلم سحره الأخّاذ الذي يؤثّر في العقول والنّفوس، ولئن كان السحرة يسحرون أعين النّاس فإنّ بضاعة هؤلاء التي

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٧٥ - ١٧٦.

يتسلّطون بها على النّفوس ليست حبالاً ولا عصيّاً وإنّما هي العلم، فيستغلّون جاذبيّة العلم وقداسته وقداسة العلماء ليجعلوا منهما بريقاً يخطف أبصار النّاس وعقولهم، فيلبسون الحقّ بالباطل ويخدعون النّاس، وهؤلاء بما يوهمون النّاس أنّه من العلم يكوّنون لهم وعياً زائفاً عدّته زيّهم وأسلوب كلامهم المنمّق المدبّج.

٢ – استغلال ثقة النّاس:

لقد بنى العلماء المقدّسون الصالحون في ضمير البشريّة مقاماً شامخاً للعلم والعلماء، ممّا أورثهم على طول المسيرة البشريّة وعلى امتداد الأجيال ثقة وإجلالاً واحتراماً وحتّى قداسة؛ فوعّاظ السلاطين والفاسدون من العلماء يستغلّون هذه الثقة ويجعلونها رأس مالهم الذي به يدخلون إلى مشاعر النّاس وعقولهم وقلوبهم ويؤثّرون فيها، وذلك ليأكلوا الدنيا فيشترونها ويجعلون علمهم ثمناً لهذه الدنيّة وسلّماً يرتقون به مناصبها.

٣ – علم حقّ وعمل باطل:

إنّ الكثير من وعّاظ السلاطين يملكون معرفة صحيحة، لكنّهم يسيرون بخطى الباطل؛ لأنّ أهواءهم حدّدت لهم أهدافهم، وشهواتهم قائدهم إليها، ففي الوقت الذي يملكون معرفة بالله والشريعة في عقولهم لكن قلوبهم مأوى الشياطين كما جاء عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«أوحى الله إلى داود عليه السلام، لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أولئك**

قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم»[1].

خاتمة: وعّاظ سلاطين في كربلاء:

ولقد ابتليت النهضة الحسينيّة بنماذج من وعّاظ السلاطين وهم كثر، إلّا أنّ من أبرزهم كان شريح القاضي، الذي كان له دور في تخذيل النّاس عن مسلم بن عقيل، من خلال استغلال منصبه كقاض، فعمل على إخماد ثائرة المذحجيّين بالكذب عليهم حتّى لًا يقتحموا دار الإمارة، فصدّقوا كذبه وأيمانه المغلّظة وتفرّقوا، وتمّ استفراد هانئ بن عروة، ومن بعده مسلم، وأُخمدت الثورة المناصرة لحركة الإمام الحسين عليه السلام وكانت هذه الخطوة هي الخطوة الرئيسيّة التي بعدها تخاذل النّاس عن مسلم وعن الحسين عليه السلام وأدّى ذلك إلى أن دانت الكوفة وسلّمت قيادها لابن زياد.

فكان لشريح نصيب في دم شهداء النهضة الحسينيّة لا يقلّ عن نصيب ابن زياد وابن سعد واضرابهما (لعنهم الله جميعاً).

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٦.

المحاضرة الثالثة

من أخلاقيّات الحرب في الإسلام

الهدف:

بيان بعض أخلاقيّات الحرب في الإسلام، ليميّز النّاس بينها وبين ما يقوم به في هذا الزمن بعض أدعياء الجهاد، والإضاءة على أخلاقيّات الجهاد الحسينيّ عليه السلام.

تصدير الموضوع

تصدير: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

مقدّمة: الأولويّة للوسائل السلميّة:

روي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيما عهد إليه:

«وإيّاك والتسرّع إلى سفك الدماء لغير حلّها، فإنّه ليس شيء أعظم من ذلك تبعة»[1] في هذه التوصية والعهد النبويّ لعليّ عليه السلام ما يفيد عظمة سفك الدماء بل فيها أمر بالتروّي من خلال النهي عن الإسراع في ولوج الحرب، ولعلّ ذلك لإعطاء فسحة من الوقت لعلّ وسائل السلم تجد لها طريقاً، فإن كان من الثابت أنّ القتال ليس هدفاً بحدّ ذاته، وإنّما الهدف هو رفع الظلم وردّ البغي وإقامة العدل وإحقاق الحقّ، إلّا أنّ ما جرت عليه السيرة البشريّة أنّهم يلجأون غالباً، في مواجهة الحقّ وأهله، إلى أساليب القمع والضغط والسجن والتعذيب والطرد والنفي والقتل، فعندما لا يملكون الحجّة في مواجهة منطق الأنبياء والأولياء والمؤمنين يلجأون إلى ما يحترفونه من أدوات العنف.

ولذا كان لسان تشريع الجهاد والقتال في الإسلام مقروناً بالإذن الذي يفيد رفع المانع أو إزالة الحظر كما في قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا

(١) مستدرك النوري، الطبرسي، ج١١، ص١٢٠.

﴿ٱللَّهُ﴾[1] إضافة إلى تضليل الإذن الإلهيّ بما ذكر من الإخراج من الديار والمظلوميّة لإيمانهم فهذا التضليل كافٍ في إثبات أنّ الأصل في نشر الدّين وإقامة العدل والأولويّة هو للوسائل السلميّة ما أتيحت.

محاور الموضوع

أخلاقيّات الحرب في الإسلام:

للحرب في الإسلام ضوابط وآداب وأخلاقيّات ومبادئ، نورد منها ما يلي:

١ – مراعاة الحدود الشرعيّة:

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[2].

لقد استفاد بعض المفسّرين من هذه الآية وجوب الامتناع عن قتل غير الجنود؛ وغير المقاتلين بحسب تعبير الآية، وهذا سابق على ما جاء في النصوص الدوليّة الراعية لأحكام الحرب، وأشار تعالى في آخر الآية إلى الامتناع عن الاعتداء على المدنيّين الأطفال والنساء والشيوخ، فقد أكّد النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام

(١) سورة الحجّ، الآيتان ٣٩ – ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

على حرمة التعرّض للنساء والأطفال، فعن جعفر بن غياث أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن النّساء كيف سقطت الجزية عنهنّ ورفعت عنهنّ؟ قال: فقال عليه السلام: **«لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلّا أن يقاتلن»**[٣].

٢ - محاولة استنقاذ من يمكن استنقاذه:

ومعنى ذلك بذل كلّ ما يلزم من الجهد لأجل استقطاب من يمكن استقطابه من الجبهة المعادية الضالّة إلى جانب الحقّ وجبهة الحقّ، ويأتي في إطار ذلك أنّه جرت سيرة أمير المؤمنين بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قبل القتال أن يدعو عدوّه إلى الإسلام، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقال: **«يا عليّ لا تقاتلنّ أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لئن يهدي الله عزّ وجلّ على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا عليّ»**[٤].

وقد حاول الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه استنقاذ من يمكن من معسكر ابن سعد إلى جانبه بل إنّ الإمام الحسين عليه السلام حاول حتّى مع ابن سعد ليلة العاشر من المحرّم.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٦٤.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٤٣.

٣ - عدم منع الماء عن العدوّ:

فلقد كان من أخلاق الحرب التي مارسها أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية وجيشه الذين عندما غلبوا على ماء الفرات منعوا جيش أمير المؤمنين عليه السلام عن الماء، فلمّا سمع عليّ عليه السلام ذلك قال: **«قاتلوهم على الماء»** فقاتلوهم حتّى خلّوا بينهم وبين الماء وصار في أيدي أصحاب عليّ، فلم يمنعه عليه السلام عن أعدائه قائلاً لجيشه: **«خذوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم فإنّ الله نصركم ببغيهم وظلمهم»**[1].

وأمّا في كربلاء فقد قدم الإمام الحسين عليه السلام نموذج أبيه عليه السلام فعندما احتاج جيش الحرّ الرياحيّ للماء سقوهم وخيلهم من الماء الذي معهم، ولمّا سيطر جيش ابن سعد على الفرات منعوا الماء عن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه وأهل بيته.

٤- عدم إلقاء السمّ في الماء والغذاء:

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **« قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يلقى السمّ في بلاد المشركين»**.

٥- عدم الغدر والخيانة:

وقد مرّ معنا أنّه من أخلاقيّات القتال دعوة العدوّ إلى الإسلام قبل القتال، وهذا يعني أن لا يقوم المسلمون بأخذ المحاربين

(١) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٥.

بغتة، بل ينذرهم قبل مباشرة القتال، إلّا في حقّ من سبقت دعوته في قتال قبله فلم يستجبْ، ولئن كانت الحرب خدعة فهذا لا يعني الغدر، فإنّ الغدر يكون حينما يعطى العدوّ أماناً من خلال معاهدات واتفاقيّات ثمّ نعمد إلى مخالفة تلك العهود والمواثيق ونغدر به وعن ذلك يقول ﷺ: **«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشدّنهم حتّى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء»**[1].

ومن الشواهد على ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينهض بعد استنصار النّاس له على ظلم بني أميّة خلال فترة حكم معاوية، حيث لم ينهض إلا بعد هلاكه وانتهاء أَمَد العهد الذي كان بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية.

٦- عدم التمثيل بالقتلى:

ولقد كان ذلك من أهمّ وصايا الإمام عليّ عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام حيث قال لهما: **«إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور»**[2].

وبالمقابل انظر ماذا فعل أصحاب ابن سعد وابن زياد بشهداء الطفّ لا سيّما جسد الإمام الحسين عليه السلام إذ جعلوه ميداناً لحوافر خيلهم.

(١) صحيح سنن الترمذي باختصار السند للألباني، ج٢، ص١١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، البحراني، ج٥، ص١٢٠.

خاتمة: من أخلاقيّات الحسين عليه السلام في كربلاء:

لقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء نموذجاً من أخلاقيّات الجهاد والقتال فهو قبل الطفّ وفي الطريق بل في بدايات خروجه من مكّة إلى العراق وعندما كان يحتاج إلى استقطاب الأنصار لبناء الجيش الذي يمكن أن يواجه جيش الظالمين، لم يستخدم كما يفعل الكثيرون أسلوب التعمية على النّاس، فلم يُمنِّهم بالنّصر، بل كانت كلمته واضحة: **«من لحق بنا استشهد...»**[1].

أو قوله: **«من كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً...»**[2].

وفي ليلة العاشر وعندما خذلت الأمّة إمامها، وجبن مرسلو كتب الاستنصار من أهل الكوفة عن الوفاء بما عاهدوه عليه، صرّح لمن بقي معه بذلك؛ وأباح لهم ترك معسكره، وقال لهم **«إنّ هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً...»**[3].

وحطّ عنهم إلزاميّة التكليف بنصرته مقدّراً لهم ما أدّوه حتّى تلك اللحظات، إلّا أنّهم أبوا إلّا أن يكونوا أمثولة في الصدق والوفاء بما عاهدوا الله عليه، ولذا كان وداعه لأغلبهم عندما كان يقف على أجسادهم لحظة الاستشهاد: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[4].

(١) كامل الزيارات، باب:٢٣، ح١٥.
(٢) كامل الزيارات، باب:٢٣، ح١٥
(٣) أمالي الصدوق، ص٢٢٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

الليلة العاشرة

المحاضرة الأولى

الحسين عليه السلام وحبّ لقاء اللّه

الهدف:

بيان أنّ من صفات أنصار الحسين حبّ لقاء الله، مع بيان معنى توطين النفس على لقائه تعالى وأنّه مؤهّل للتوفيق لنصرته عليه السلام، مع إيراد شواهد من مواقف الأنصار.

تصدير الموضوع

جاء في ذكر السجدة بعد زيارة عاشوراء: «**اللهمّ ثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام**».

مقدّمة: حبّ لقاء الله من صفات الموفّقين لنصرة الحسين عليه السلام:

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام مقام أصحابه ورفعة درجتهم فقال عليه السلام: **«فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي»**[1].

وبهذا الوصف ينفي الإمام الحسين عليه السلام على طول الأزمنة السابقة على الثورة الحسينيّة أو اللاحقة بها، أن يكون لأصحابه نظير أو مثيل، فهيهات أن يجود الزمان بأمثالهم، علماً أنّه يقول ذلك فيهم رغم من تقدّم في الزمن من أصحاب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام وأخيه الحسن المجتبى عليه السلام؛ وإذا عدنا إلى كلمات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّه عليه السلام ذكر في صفات المؤهّلين لنصرته عليه السلام، إمّا على نحو الإخبار وهو الأقرب، أو على نحو الاشتراط لتأكيد الصفتين، فقال عليه السلام في بيانه خارجاً من مكّة إلى العراق: **«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة من جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف... (إلى أن يقول:) ... ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله»**[2].

(١) الإرشاد، ج ٢، ص ٩١.

(٢) لواعج الأشجان، ص ٧٠.

وفي هذا إشارة إضافة إلى ما أسلفنا إلى ميزتين تميّز بهما أنصار الحسين عليه السلام حتّى كانوا خير أنصار، وهما:

١ – محبّة عظيمة لأهل البيت تتجسّد بذلاً للمهج في حبّهم عليهم السلام.

٢ – توطين النفس على لقاء الله تعالى.

والكلام سيقتصر على الصفة الثانية، وهي حبّ لقاء الله وتوطين النفس عليه.

محاور الموضوع

معنى لقاء الله:

لا شكّ أنّ الله عزَّ وجلَّ لا يوصف بالقرب ولا بالبعد الزمانيّ ولا المكانيّ، بل هو حاضر حضوراً قيوميّاً، وهو القائم على كلّ نفس.

ولذلك فهو «**بَعُد فلا يُرى وقَرُب فشهد النجوى تبارك وتعالى**»[1] فاللقاء بالله بالنسبة للآخرة حتميّ، وبالموت كذلك، وأمّا اللقاء به تعالى في الحياة الدنيا فإنّه حاصل بشرط سعي الإنسان للقائه تعالى، وعلى الطريق الموصل، وباتّباع الدليل الصادق.

(١) كما في دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان المبارك.

وإلّا كان السائر مع الجهل، سائراً على غير الطريق لا يزيده كثرة السير إلّا بُعداً؛ فلقاء الله تعالى، هو الاتصاف بصفات والقيام بأعمال، تجعلنا محلّ نظره الشريف ومحبّته، فيكون على أثر ذلك الجذب الإلهيّ لنا عبر قلوبنا، لتصل أرواحنا إلى مقام من مقامات القُرب منه حيث أرقاها ما طلبه أمير المؤمنين عندما قال: «**وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك**»[1].

فلقاء الله حتميّ كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[2]، لكنّ اللقاء أين ومتى وكيف وعلى أيّ حال هو المعتبر؛ فقد يكون إيجابيّاً فيكون في درجات المقرّبين، وقد يكون سلبيّاً في دركات المبعدين.

توطين النفس على لقاء الله:

وهي العبارة التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام والتوطين معناه تثبيت حبّ لقاء الله أو على الأقل اليقين بلقائه تعالى، والذي يعني اليقين به وبيوم القيامة؛ وهذا يعني تثبيت المعرفة بالله تعالى وتطويرها وتنميتها بدءاً بالنظر والتأمّل والتفكّر والتعلّم، وذلك عبر الأدلّة ولو على نحو دليل الإعرابي: البعرة تدلّ على البعير، وأثر السير يدلّ على المسير، أفأرض ذات أفجاج وسماءٌ

(١) المناجاة الشعبانيّة، مفاتيح الجنان، أعمال شهر شعبان.

(٢) سورة الانشقاق، الآية ٦.

ذات أبراج أفلا يدلّان على اللطيف الخبير.

فالمهمّ انفعال النّفس بهذا الدليل وتحوّله من العقل إلى القلب ليصبح يقيناً وطمأنينة.

فالمطلوب الانتقال من المعرفة العقليّة إلى المعرفة القلبيّة ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1] والتدرّج بها لتتحوّل من الحدس إلى الحسّ، وتترقّى لتصبح معايشة شعوريّة حيث يتمّ طيّ المسافات بين العقل والقلب ليصبح ما كان غيباً كالأمر المشاهد المحسوس، بل المعايش بكلّ المشاعر. وإنّما يبقى الاستدلال البرهانيّ حاجة إذا لم يصل إلى اليقين، فمع وصوله درجة اليقين لا طلب لمزيد من الأدلّة، وإذا ترقّى ليصبح حالة من المشاهدة القلبيّة والمعايشة الشعوريّة فينتقل حينها إلى درجة: **«لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»**[2].

وتُكشف الحجب، بل تكاد تزول، ليصبح الله قبل كلّ شيء ومع كلّ شيء وبعد كلّ شيء.

وليكتشف بعدها حقيقة قول الإمام الحسين عليه السلام: **«عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً»**[3].

(١) سورة الحجر، الآية ٩٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣١٧.

(٣) دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

التوطين للقاء المؤهّل لنصرة الحسين عليه السلام:

لقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام لعبارته **«موطّناً على لقاء الله نفسه»** بأمور يستفاد منها أنّها قوام هذا التوطين وشروطه، وهي:

١ – الموت في سوح الجهاد، حدث جميل ينزل بصناع الفعل الجميل، وهو الجهاد كرامة يقلّدهم الله إيّاها **«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة من جيد الفتاة»**.

٢ – لقاء الله عبر الشهادة في سوح الجهاد وسيلة للالتحاق بركب الصالحين، هذا اللقاء هو محلّ وَلَه وعشق.

٣ – الشهادة مع الحسين عليه السلام نصرةً له وذوداً عنه وعن أهل بيته **«باذلاً فينا مهجته»**.

خاتمة: لقاء الله بالشهادة بين يديّ الحسين عليه السلام:

صحيح أنّ بيان الحسين عليه السلام لصفتين من صفات الموفقيّة لنصرته، وهما توطين النفس على لقاء الله وبذل المهج فيهم عليهم السلام، قد تحملان على صفتين مستقلّتين.

لكن لعلّ مراده عليه السلام هو الدمج بين الصفتين وهي حبّ لقاء الله تعالى مضرّجين بدماء الشهادة في سبيل الله، حبّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولعترته الطاهرة، البالغ درجة سفك الدماء على هذا الحبّ مع اليقين بالقتل والشهادة، وقرّروا الرحيل معه ليلاقوا الله في موكب الحسين شهداء، وقد عبّر عن ذلك أبو الفضل العبّاس نيابة عنه وعن إخوته وبني أخيه عليهم السلام عندما طلب الحسين عليه السلام منهم

النجاة بأنفسهم فقال عليه السلام: **«لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً»**[1].

ومن إجابات الأصحاب نذكر إجابة زهير بن القين (رض): **«لقد سمعنا يا بن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها»**[2].

فيما جسّد برير (رض) الرؤية التي ذكرنا عندما قام قائلاً: **«يا بن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك فتقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة»**[3].

ونحن نقول كما علّمنا أن ندعو حال السجود في زيارة عاشوراء: **«اللهم ثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»**.

(١) الإرشاد، ج ٢، ص ٩١.

(٢) أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوّار السيّد محمّد الحلو، ص٥٠ - ٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٧- ٥٨.

المحاضرة الثانية

انتظار الفرج

الهدف:

بيان معنى الانتظار وآثاره وبركاته وأهمّيّة الارتبـاط بالغيب وعدم الخضوع للمعادلات الماديّة.

تصدير الموضوع

عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أفضل العبادة انتظار الفرج»**[1].

(١) كمال الدّين وتمام النعمة، ص ٢٨٧.

مقدّمة: انتظار الفرج عبادة وجهاد:

من الأمور المؤكّدة وفي روايات كثيرة حثّ على انتظار الفرج، وبالأخصّ الفرج للبشريّة وللإنسانيّة بظهور مخلّصها وباني مجدها ومقيم العدل في أرجاء مسكونتها الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ومن هذه الروايات ما نقله الإمام العسكريّ عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج»**[1].

بل إنّ بعض الروايات جعلت هذا الانتظار عبادة، بل أفضل العبادات، وهذا ما نقله أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أفضل العبادة انتظار الفرج»** كما تقدّم.

وهو جهاد، بل أفضل أنواع الجهاد كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **«أفضل جهاد أمّتي انتظار الفرج»**[2].

ولا يخفى بعد المرور على المعنى اللغوي لانتظار الفرج والذي يفضي إلى أنّ الانتظار هو حالة نفسانيّة ينبعث منها التهيّؤ لما تنتظره، وضدّه اليأس، فكلّما كان الانتظار أشدّ كان التهيّؤ آكد...[3].

مع ما ورد بأنّ الانتظار عبادة بل أفضل العبادة، وجهاد بل أفضل الجهاد حيث عدّته من العبادة والجهاد، كلّ ذلك لا يبقي

(١) كمال الدّين وتمام النعمة، ص ٦٤٤.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٤١.
(٣) مكيال المكارم، ج٢، ص١٣٦.

مجالاً ليشكّ أحد بأنّ الانتظار المطلوب هو الانتظار المقرون بالعبادة والعمل والمعرفة والجهاد أي الانتظار الإيجابيّ ولا معنى لصرف الجهد في بيان أنّه هو المطلوب.

محاور الموضوع

بركات الانتظار وآثاره:

إنّ البشارة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف واليقين بتحقّق الوعد الإلهيّ له آثاره الإيجابيّة في الفرد والمجتمع على صعيد التفكير والإيمان والسلوك والعمل؛ فحالة الانتظار لهذا الوعد والتماهي معها تشكّل حالة فعّالة في شتّى أبعاد النّفس البشريّة ومنها:

١ – النظرة التفاؤليّة للحياة ولمآل المسيرة البشريّة:

وهذا ما يدفع النظرة السوداويّة التشاؤميّة التي تورث الكآبة وتزيل المجهوليّة التي بنفسها تجعل الإنسان ثقيل الخطى في سيره الدنيويّ في العمل والعلاقات وهذا ما يحفّز الإيجابيّة في العلاقات والعمل.

٢ – زرع الأمل في النّفوس المنتظرة:

إذ يشكّل الإيمان به عجل الله فرجه الشريف وانتظاره حالة من الطمأنينة في خضمّ المشاكل والصعوبات والبلاءات أنّه ثمّة حلول قادمة لا محالة، فلا سقوط أمامها، بل تتولّد من ذلك شحنات معنويّة تصلّب

الإرادة وتقوّي العزيمة وتولّد الثقة أمام كلّ التحدّيات وقد قال رسول الله ﷺ: **«الأمل رحمة لأمّتي ولولا الأمل ما رضّعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً»**[1].

وهذا الأمل أمل حقيقيّ واقعيّ وليس خياليّاً يغذّيه الوعد الإلهيّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

وما جاء على لسان الصدق الأعظم النبيّ محمّد ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتّى يقوم قائم الحقّ منّا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له، ومن تبعه نجا، ومن تخلّف عنه هلك... الله الله عباد الله، فأتوه ولو على الثلج، فإنّه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي»**[3].

فهذا الأمل يولّد طاقة على الحركة وقوّة دافعة للسعي والتحرّك بدون كلل ولا تعب، وهذه القوّة المتولّدة من هذا الأمل تكاد تلغي بل هي تمحو العناء والتعب لتملأ كيان المنتظر بالسعادة تحدوها اللهفة للظهور المبارك المحتوم ولقاء القائد الإلهيّ ليستتم وعد الله لنبيّه ﷺ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[4].

٣ - اليقين بالنصر النهائيّ:

فبالوعد الإلهيّ يحصل اليقين بنصر الله لوليّه الإمام

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٣.
(٢) سورة القصص، الآية ٥.
(٣) دلائل الإمامة، ص ٤٥٢.
(٤) سورة الصفّ، الآية ٩.

المهديّ عجل الله فرجه الشريف والهزيمة الحتميّة للكافرين والظالمين، فلا شكّ ولا ريب بهذه النتائج إضافة إلى إقامة دولة العدل الإلهيّ على شتّى أرجاء المعمورة، هذا النصر لن يكون نصراً مرحليّاً وإنّما هو نصر نهائيّ ستبقى مفاعيله، وعندما ننتظر مثل هذا النصر مع اليقين بأنّه قادم فإنّ ذلك يجعلنا ندرك أنّ أعمالنا الصالحة وخطانا السليمة في طريق هذا المشروع الإلهيّ لن تذهب سدى، بل ستنضمّ إليها جهود الأجيال وتتراكم لتثمر في غد الظهور المبارك الآتي حتماً.

٤ – الثبات والصمود:

قد يعيش المؤمنون أوضاعاً مؤلمة ومريرة ويمرّون بظروف قاسية من جرّاء مواجهة الكفر والانحراف وهذا ما وعدنا به رسول الله في قوله لابن مسعود: **«يا بن مسعود، يأتي على النّاس زمان الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفّه»**[1].

فإن كان المؤمن معتقداً أن لا أفق أمامه للحلّ، وأنّه وحيد في هذه المعتركات فستضعف قدرته وقد يسقط في الاختبار والامتحان، وأمّا مع وجود الأمل بالخلاص فإنّ الصمود يقوى ويشتدّ فلا استسلام أمام الصعوبات والضغوط.

وهذا ما يجعل المؤمن ثابتاً على إيمانه ومعتقده فلا تزول نفسه ولا تزلّ قدمه.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٩٨.

٥ – توثيق الارتباط بالغيب:

وقد قال تعالى إنّه من صفات المتّقين المؤمنين أنّهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وجاءت الروايات ربّما من باب التطبيق لتشير أنّ الغيب هو الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف وإذا حاولنا أن نكون منصفين فإنّ الإيمان بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف أحد أهمّ الاختبارات والامتحانات للإيمان بالغيب، فالانتظار هو إحدى الممارسات العمليّة لهذا الإيمان، وهو يعمّق الرابطة بالغيب، فهو يدعونا – لنحسن انتظاره – أن نتعرّف عليه وعلى حقيقة قضيّته بل حقّانيّتها والبحث عن الدور والوظيفة التي أنيطت بنا اتجاهه، وكيف نبني العلاقة معه؟، وماذا علينا أن نفعل لنكون قريبين منه مقبولين عنده؟ إضافة إلى أمر رئيسيّ وهو مع تحصيل اليقين بالوعد الإلهيّ والانتظار نخرج من حالة تربيب الأسباب الماديّة، والواقع ومعادلات السياسة والاقتصاد والأمن مهما تجبّر المتجبّرون واستكبر المستكبرون.

وهذا ما يورث التوازن بين الأبعاد الغيبيّة والمعادلات الماديّة وهذا يورث التحرّر والقوّة أمام هذه المعادلات بالاستقواء بالغيب ووعوده المحتومة.

خاتمة:

نحن في زمن أصبح النّاس فيه عبيداً يربون القوّة، قوّة المال والسلطة، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ونحن والبشريّة نحتاج دائماً إلى ما يعيدنا إلى رشدنا ويحرّرنا من هذه العبوديّة

ونحن المؤمنين خصوصاً نحتاج إلى دوام تعزيز الرابطة بالغيب والثقة بالله تعالى وأوليائه.

والإيمان بوجود الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف مع غيبته، يولّد بل يعزّز الثقة بالعناية والرعاية الغيبيّة والإلهيّة بألطافه تعالى بنا وخصوصاً عبر شمسه التي يجلّلها سحاب الغيبة إلى زمن انقشاعها عن وجهه النورانيّ.

المحاضرة الثالثة

الحبّ الإلهيّ للمجاهدين

الهدف:

بيان أنّه من السنن الإلهيّة ابتلاء المؤمنين بالقتال، وذكر نموذج الربيّين، وبيان معناه وسبب علّة استحقاقهم لنوعين، ومقامين من الحبّ الإلهيّ، والدعوة إلى اللجوء إلى الله دائماً.

تصدير الموضوع

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية:١٤٦.

مقدّمة: سنّة ابتلاء المؤمنين بالقتال:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1].

هذه الآية من سورة الحديد تتحدّث بالجملة عن أنّ سنّة الله من الهداية للبشر هي إرسال الرسل مع الحجج المقنعة والدلائل المؤكّدة كالمعجزات، وذلك ليؤمن النّاس وليصدّقوا بنبوّة الأنبياء ورسوليّة الرسل، ويستجيب النّاس للمشروع الإلهيّ للحياة البشريّة، ولذا من السنن الإلهيّة أن يرسل مع النبيّين والمرسلين الكتب السماويّة والقوانين المنظّمة للحياة البشريّة.

والأصل في ذلك أسلوب الإقناع من خلال الأدلّة والبراهين، والهدف جعل تطبيق المشروع الإلهيّ عمليّاً على عاتق النّاس، وكما يحتاج المشروع إلى قائد ودستور إلهيّين كذلك لا يستقيم إلّا بمعونة وإستجابة من الجماهير والأمم وهذا يعني أنّ إجراء القوانين الإلهيّة وحمل المشروع الإلهيّ منوط بتحمّل النّاس له عن حرّيّة واختيار.

ومعنى ذلك أنّ دعوة الأنبياء وحركاتهم ستلاقي أنصاراً لكنّها كذلك ستلاقي أعداء، وقد تصل الأمور بين الطرفين

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

إلى الحرب والقتال، ولذلك كانت الإشارة إلى إنزال الحديد مع الإشارة إلى البأس الذي منه.

وقد كشف المولى عن سرّ المشيئة الإلهيّة في ذلك، وهو ظهور أنصار الحقّ أنصار دين الله من غيرهم، ذلك أنّه في الأمن والدّعة والسلام والسلامة قد يكون كلّ نصيراً للحقّ ولدين الله، ولكن ثمّة مرتبة راقية من الإيمان والصدق فيه محكّها الجهاد والقتال، وهؤلاء المجلّون في حركة الرسل تكشف معادنهم الحرب وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

محاور الموضوع

الربيّون نموذج قرآنيّ:

لقد أورد الله تعالى في كتابه الكريم الكثير من القصص ليثبّت به قلب النبيّ وقلوب المؤمنين، ومن النماذج التي ذكرها لتكون أسوة لهم الربيّون حيث قال تعالى عنهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[1].

لقد اختار الله لمجموعة المؤمنين حقّاً بالانبياء ورسالاتهم اسماً خاصّاً هو الربيّون، وفي معنى هذا الاسم والوصف قال صاحب تفسير الميزان: الربيّون جمع ربّيّ وهو كالربّانيّ، من اختصّ بربّه تعالى فلم يشتغل بغيره.

فهم على ذلك مخلصون له في الإيمان بالرسل والرسالات، ومتفاعلون معها بالإعانة للرسل في مهامهم وتحمّل مشاقّ هذه المعونة، ومن جملة هذه المعونة القتال والجهاد.

الحبّ الإلهيّ عاقبة الجهاد:

لقد ذكرت الآيات مرتبتين للحبّ الإلهيّ الذي حصل عليه المخلصون لله في إيمانهم ذلك الإيمان الذي يتجلّى في تحمّل مسؤوليّة الدفاع عن الرسل والرسالات بالأنفس قتالاً، والمقامان هما:

١- مقام الصابرين:

تشير الآيات إلى أنّ الربيّين بادروا إلى القتال وكان من مواصفات قتالهم:

- القتال تحت قيادة القائد الإلهيّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦-١٤٨.

- الثبات المعنويّ والنفسيّ والروحيّ، ولذا فقد نفى الله عنه الوهن، حيث لم يؤثّر في حماسهم ومعنويّاتهم، وروحيّتهم، وبالتالي عزائمهم معاناة الجهاد ومشاقّه وتكاليفه حيث قال تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ ...﴾ ليضيف بما يشبه التحليل أنّ ذلك: ﴿... فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهم لا تضعف معنويّاتهم لأنّ ما يصيبهم هو سبيل الله.
- عدم الضعف الماديّ: فكما أنّ أرواحهم وأنفسهم لا تضعف كذلك أبدانهم لا تضعف في ميادين المواجهة.
- لا يتوقّفون عن الحركة: فتحمّلهم لما يصيبهم من أهوال القتال وآلام الجراح وغير ذلك لا يعني فقط الصمود بعدم التراجع والثبات، وإنّما بدوام الحركة باتّجاه الأهداف والمواقع، ولذا قال تعالى: ﴿... وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾.

نتيجة هذا كلّه ينالون حبّ الله لأنّهم بعدم الوهن وعدم الضعف ودوام الحركة قد وفّقوا لتحقيق صفة الصبر التي تجعلهم محبوبين لله تعالى إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

٢- مقام المحسنين:

ثمّة درجة أرقى من الصبر ومنزلة حبّ إلهيّ أعلى من محبّة الصابرين وهي للمحسنين وفي ذلك نستفيد من الآيات ما يلي:

- الصبر: يفتح باب الموفّقيّة لدعائه تعالى، أو أنّ الله أراد الإشارة أنّ مكابدة آلام القتال وأهواله لم تنس هؤلاء

الله بل كان سبباً في توجّههم إليه في الدعاء وهذا ما يشعر به قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ... ﴾ أي أنّهم لم يتذمّروا ويسيؤوا الظنّ به تعالى بل لجؤوا إليه بالدعاء.

- التوجّه إلى ربوبيّة الله ومدبّريّته ونسبة أنفسهم إلى ربوبيّته، فهم مربوبون ولهم ربّ هو الله وإليه من هذا الموقع يتوجّهون.
- يحذرون ممّا يمنع من إستجابة الله للدعاء: لذلك يقدّمون طلب المغفرة تواضعاً أوّلاً، وثانياً لإزالة المنفّرات عن سماع المولى لدعائه وهي روائح الذنوب.
- بعد رفع موانع الإجابة يطلبون الحاجة وهي النّصر والتثبيت، وفي ذلك حكمة منهم واضحة فقد طلبوا التثبيت وعدم الانهزام، ثمّ عقّبوا ذلك بطلب النّصر فقالوا: ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.
- نتيجة الجهاد والصبر والدعاء يوجد أمور ثلاثة:

١- ثواب الدنيا وهو التثبيت والنّصر.

٢- حسن ثواب الآخرة.

٣- الحبّ الإلهيّ.

خاتمة: الحبّ الأرقى للمحسنين:

تشير الآيات أخيراً إلى أنّه ثمّة مرتبة راقية من حبّ الله، يمنحها الله تعالى ويفيضها، ويلبسها المخلصين في قتال أعدائه وأعداء

رسله وأعداء رسالاته وذلك لأنّهم محسنون، إذ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فالمقام الأوّل كان لهم لتجسيدهم صفة الصبر في النّفوس بعدم التراجع الروحيّ والمعنويّ، وفي الأجساد بعدم الضعف والاستمرار بالحركة والعمل، وأمّا الثانية التي هي أرقى- والأولى ممرّ ومقدّمة لها- حصلت لهم وارتقوا إليها لأنّهم ضمّوا إلى الصبر اللجوء إلى الله تعالى، فبعد تحقيق الصمود في وجه الأعداء صمدوا إلى الله بحوائجهم فصاروا بذلك في زمرة المحبوبين لله لأنّهم بذلك صاروا محسنين.

الفهرس

الفهرس

السياسات العامّة للخطاب العاشورائي ٥
توجيهات الإمام الخمينيّ قدس سره ٩
توجيهات الإمام الخامنئيّ دام ظله ٩
كلمة الإمام الخامنئيّ دام ظله ١١

الليلة الأولى

المحاضرة الأولى:
التذكير بأيّام الله ١٧
المحاضرة الثانية:
حذار الغفلة ٢٥
المحاضرة الثالثة
إصلاح ذات البين حرب على الشيطان ٣٣

الليلة الثانية

المحاضرة الأولى:
زينب عليها السلام نموذج القيادة في المحنة ٤٣
المحاضرة الثانية
الدور الجهاديّ للمرأة ٥١
المحاضرة الثالثة
الكسل موت ٥٩

الليلة الثالثة

المحاضرة الأولى

خير الأمم الموحّدة المتضامنة..... ٦٩

المحاضرة الثانية

من اعتبر ترك الشبهات..... ٧٧

المحاضرة الثالثة

فراغ سلامة لا ندامة..... ٨٥

الليلة الرابعة

المحاضرة الأولى

نصرة أولياء الله ٩٥

المحاضرة الثانية

لا لثقافة سوء الظنّ..... ١٠٣

المحاضرة الثالثة

الخمر والمخدرات فساد..... ١٠٩

الليلة الخامسة

المحاضرة الأولى

لا تركنوا إلى ظالم..... ١١٩

المحاضرة الثانية

أكل الحرام ١٢٥

المحاضرة الثالثة

أسباب إدبار القلوب وفتورها ١٣١

الليلة السادسة

المحاضرة الأولى

بناء البصيرة..... ١٤١

المحاضرة الثانية

المنجيات من النّار ١٤٩

المحاضرة الثالثة

من آداب التوبة ١٥٧

الليلة السابعة

المحاضرة الأولى

الثبات ١٦٧

المحاضرة الثانية

الحياء هو الدّين ١٧٥

المحاضرة الثالثة

أفضل النّاس إيماناً المتصدّقون..... ١٨٣

الليلة الثامنة

المحاضرة الأولى

تجلّيات حسينيّة في حركة المهديّ عجل الله فرجه الشريف ١٩٣

المحاضرة الثانية

وجوه جميلة للبلاء ١٩٩

المحاضرة الثالثة

ردّ المظالم ٢٠٧

الليلة التاسعة

المحاضرة الأولى

زينب والحسين عليهما السلام بَطَلا التوحيد ٢١٧

المحاضرة الثانية

خطر وعّاظ السلاطين ٢٢٥

المحاضرة الثالثة

من أخلاقيّات الحرب في الإسلام ٢٣٣

الليلة العاشرة

المحاضرة الأولى

الحسين عليه السلام وحبّ لقاء الله ٢٤٣

المحاضرة الثانية

انتظار الفرج ٢٥١

المحاضرة الثالثة

الحبّ الإلهيّ للمجاهدين ٢٥٩

معهد سيّد الشهداء
للمنبر الحسيني

من المعاهد التابعة لجمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، ويختصّ بشؤون النهضة الحسينيّة ونشرها، وإعداد قدرات خطباء المنبر الحسينيّ وتنميتها، معتمداً على كفاءات علمائيّة وخبرات فنّيّة وإداريّة، ووسائل متطوّرة وأساليب عصريّة، للوصول إلى مستوى يتناسب مع مبادئ النهضة الحسينيّة وأهدافها، المرتكزة على الأسس الصحيحة المستقاة من ينبوع الإسلام المحمّديّ الأصيل

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

ISBN 978 9953 0961 3 336218